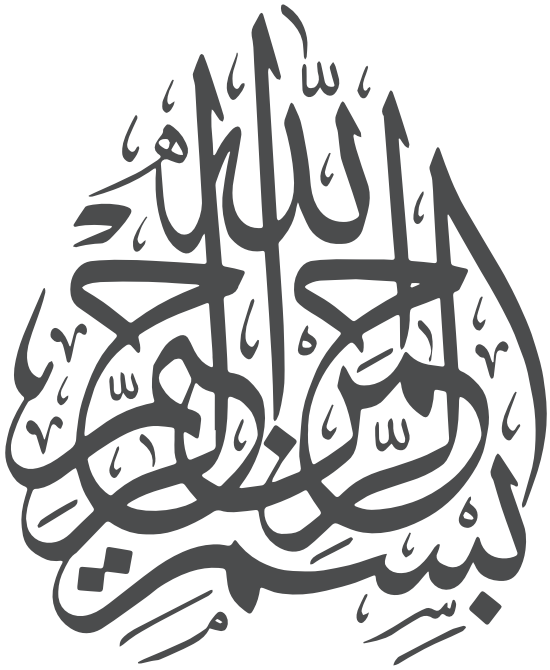
بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان: (معالجةُ الانحرافاتِ الفكريّةِ في مروياتِ الإمامِ الباقرِ عليه السلام)

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية / قسم النشر

الإشراف العام: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م. ضياء محمد حسن

الإدارة الفنية : م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي: احمد هاشم الحلو

عدد النسخ: ٢٥٠

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

٢٣٩،٣

م ٦٢٨ معالجة الانحرافات الفكرية في مرويات الامام الباقر (عليه السلام)/ مجموعة مؤلفين .- ط١ . - كربلاء : جمعية العميد العلمية والفكرية، ٢٠٢٥

١١٢ ص ؛ ٢٤ سم.

١ . محمد الباقر(عليه السلام) (الامام الخامس)-٢- اهل بيت النبي.

رقم الايداع

١٩٧/ ٢٠٢٥

معالجة الانحرافات الفكرية في مرويات الامام الباقر عليه السلام / مجموعة مؤلفين.-الطبعة الاولى.- كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، 1446 هـ. = 2024.

112 صفحة ؛ 24 سم.

سلسلة اهل البيت ؛ 5

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

ISBN : 9789922680446

1. محمد الباقر، محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام)، الامام، 57-114 هجري--آراء حول الانحرافات الاخلاقية. 2.التربية الاسلامية (شيعة). أ. العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. جمعية العميد العلمية والفكرية. معد. ب. العنوان.

LCC: BP193.15.A3 M85 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

الفهرسة أثناء النشر

ISBN:978-9922-680-89-7

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٧) لسنة ٢٠٢٥

سلسلة

أهل البيت (٥)

معالجة الانحرافات الفكرية في مرويات الإمام الباقر عليه السلام

المحتويات

٧ **الإمام الباقر ﷺ ت ١١٤ هـ ودوره في مواجهة الانحرافات الأخلاقية** **أ.د. داود سلمان خلف الزبيدي**

٨ تمهيد

٩ المقدمة

١٢ أوراق من سيرة الإمام الباقر ﷺ

١٣ روايته ورواته

١٣ أشهر تلامذته

١٤ أقوال العلماء فيه

١٤ الخلاص في سلوك وفكر الإمام الباقر ﷺ

١٦ نماذج مختارة من أقوال الإمام الباقر ﷺ مواجهة الانحراف الأخلاقي

١٨ الاستنتاجات

١٩ الهوامش

٢١ المصادر والمراجع

٢٢ **جهود الإمام الباقر ﷺ في تنزيه العقيدة الإسلامية من الغلو والتطرف** **أ.د. صبحي عودة محمد**

٢٣ تمهيد

٢٣ المقدمة

٢٤ المطلب الأول – نبذه عن سيرة الإمام الباقر ﷺ

٢٦ المطلب الثاني – دور الإمام في تنزيه الإسلام

٣٠ المطلب الثالث – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٣٢ الخاتمة

٣٣ الهوامش

٣٦ المصادر والمراجع

٣٨ **مظاهر الانحراف الأخلاقي في عصر الإمام الباقر عليه السلام ودوره في مواجهتها** **أ.م.د. حسين جليل علوان**
٣٩ المقدمة
٤٠ التمهيد
٤٠ عصر الإمام الباقر عليه السلام
٤١ مدخل الانحراف الأخلاقي على مستوى الفرد والجماعة
٤٢ المطلب الأول: الجفاء
٤٤ المطلب الثاني: الغيبة
٤٦ المطلب الثالث: التكبّر
٤٨ المطلب الرابع: الرياء
٤٩ المطلب الخامس: شرب الخمر
٥١ الخاتمة
٥٢ الهوامش
٥٥ المصادر والمراجع

٥٧ **الانحراف الفكري: عناصره وإصلاحه في عهد الإمام الباقر عليه السلام (دراسة استقرائية)** **الباحث محمد حسن المولى**
٥٨ المقدمة
٥٩ المبحث الأول : مفهوم الانحراف وظواهره
٥٩ المطلب الأول : مفهوم الانحراف
٦٠ الانحراف الفكري
٦٠ مظاهر الانحراف الفكري
٦٢ أسباب الانحراف الفكري
٦٣ المطلب الثاني : ظواهر الانحراف الفكري في العصور السابقة
٦٦ المبحث الثاني : عناصر الانحراف في عهد الإمام
٦٧ المطلب الأول : عناصر الانحراف الداخلي
٧١ المطلب الثاني : عناصر الانحراف الخارجي
٧٥ المبحث الثالث : الدور الإصلاحي للإمام
٧٥ المطلب الأول : الإصلاح العلمي
٧٦ المدرسة الفقهية الإسلامية
٧٧ منهج مدرسة الإمام الباقر
٧٨ المطلب الثاني : الاصلاح العملي
٧٩ المطلب الثالث : المحاسبة والارشاد
٨٠ الخاتمة
٨٠ الاستنتاجات
٨١ الهوامش
٨٤ المصادر والمراجع

٨٦ **الانحراف الفكري ودور الإمام محمد الباقر عليه السلام في عملية التصحيح** **الشيخ محمد رضا الدكسن**

٨٧ **المقدمة**
٨٧ أهمية البحث
٨٧ اسباب اختيار الموضوع
٨٨ منهجية البحث
٨٩ الانحراف في اللغة والاصطلاح
٩٠ الفكر في اللغة والاصطلاح
٩١ المبحث الأول: (الإمام الباقر فرع الدوحة المحمدية)
٩١ جانب من سيرته العطرة
رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بإبلاغ حفيده الباقر عليه السلام
٩٤ المبحث الثاني: الانحراف الفكري مظاهره، أنواعه، آثاره
٩٤ مظاهره
٩٦ أنواع الانحراف الفكري
٩٧ آثار الانحراف السلبية في المجتمع
٩٨ الدور التصحيحي للإمام الباقر عليه السلام
٩٨ المناظرات
١٠١ الجانب التشريعي
١٠١ التأسيس لعملية الاستنباط
١٠٤ المبحث الرابع: البعد الروائي
١٠٤ الروايات
١٠٦ ما يحرم من الذبيحة
١٠٨ الخاتمة
١٠٩ الهوامش
١١٢ المصادر والمراجع

كلمة الجمعية

الحمد لله الذي لا تُحصى محامده ولا تعدّ مكارمه والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين محمّد وعلى آله المعصومين سفن النجاة ومصابيح الهدى أمّا بعدُ فقد أنجزنا بعون الله تعالى في ضمن خطة قسم النشر في جمعية العميد العلمية والفكريّة الاصدار الخامس من سلسلة أهل البيت عليهم السلام التي تعنى بنشر تراث الأئمّة المعصومين عليهم السلام وهو تراث حوى علومهم وأحاديثهم ورسائلهم ودروسهم التي ألقوها على تلاميذهم وما خطّته أياديهم الكريمة وهو تراث ثرّ وغزير شمل موضوعات الفقه والاجتماع والاقتصاد وتربية الفرد وبناء المجتمع بناءً سليما بما تقتضيه الرسالة المحمّدية التي حملها رسولنا الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله إلى الأمم كلّها بوحي من الله تعالى.

ووسمنا هذا الكتاب بـ (معالجة الانحرافات الفكريّة في مرويات الإمام الباقر عليه السلام).

فلقد كان عصر الإمام الباقر عليه السلام زاخرا بالاتجاهات المنحرفة المتأثرة بما كان يشيعه الحكّام الأمويون من أحاديث مزوّرة تسعى إلى تزييف التاريخ وتحريف الأحاديث النبويّة الشريفة التي تنصّ على ولاية أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب والأئمة المعصومين عليهم السلام وتوجيهها لخدمة أعداء الإسلام ولتجهيل الناس بقيم الإسلام وتعاليمه السليمة فظهرت الفرق والحركات المنحرفة التي شوّهت الدين وسعت إلى إعادة القيم الجاهلية بوسائل مختلفة لذا تصدّى الإمام الباقر عليه السلام لهذه الأفكار الضالة والدعوات الى فهم الإسلام فهما يخدم الحكّام الجائرين ويسوّغ ارتكاب المحرّمات وممارسة الرذيلة وتخريب الفرد والمجتمع لذا جاءت بحوث هذا العدد من هذه السلسلة لتكشف عن الجهود التي بذلها الإمام الباقر عليه السلام لتصحيح الانحرافات والردّ على الدعوات الباطلة والمضلّلة من خلال الحرص على رواية أحاديث النبي محمّد صلى الله عليه وآله رواية صحيحة وبسند صحيح لتثبيتها في العقول وتدوينها في الكتب الجامعة لها .

ومن خلال الحرص على إعداد فئات من العلماء والرواة لنشر تلك الأحاديث الصحيحة وشرح مضامينها ومضامين القرآن الكريم وتفسيره فضلا عمّا يتعلّمه المجتمع من سيرة الإمام الباقر عليه السلام في تعامله مع الناس وصدقه وعبادته وزهده وحسن خلقه وجميل صفاته وعظيم محامده فكان المثل الأعلى والقدوة الحسنة للمسلمين يتعلّمون منه ما يحصّنهم من الانحرافات والضلالات .

وقد درست بحوث الإصدار الخامس تلك الجهود وكشفت عن أثرها في حفظ المجتمع الإسلاميّ وتحصين المسلم من خطر الاتجاهات الضالة والدعوات المشبوهة التي تقصد إلى الابتعاد عن قيم الاسلامي وتعاليمه وشريعته . وحاول الباحثون بيان تلك الجهود وتحليل مساراتها بوضوح ويسر .

ندعو الله تعالى أن يجعل تلك البحوث لبنات لبحث رصين يزيح غبار الزمن وتعتيم الحكّام الأمويّين والعباسيّين عن تراث أئمتنا المعصومين عليهم السلام.

ونعاهد الله تعالى والباحثين على مواصلة السير لتقديم مزيد من البحوث والدراسات التي تحيي تراث الأئمة المعصومين عليهم السلام وتشيع رواياتهم وأقوالهم وتوثّق أعمالهم وما التوفيق الإ من عند الله السميع العليم .

جمعية العميد العلمية والفكرية

الإمام الباقر عليه السلام ت ١١٤ هـ ودوره في مواجهة الانحرافات الأخلاقية

أ.د. داود سلمان خلف الزبيدي

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

تمهيد

يتناول البحث مقدمات انشغال الدولة الاموية بصراعاتها الداخلية ومواجهة الثورات المضادة لها وانغماسها في الترف الذي انعكس سلبا على سلوكيات المجتمع الإسلامي فضلا عن الاستبداد والظلم .

عمل الإمام الباقر عليه السلام على اصلاح المجتمع الإسلامي مستثمرا انشغال الامويين بما ورد اعلاه، بمسارين مهمين . الأول : المسار العلمي الذي تمثل بتأسيس مدرسة أهل البيت الفكرية أما المسار الثاني : فهو الذي تمثل في مواجهة مظاهر الانحراف الاخلاقي والاقتصادي فضلا عن الفكري، معتمدا على نخبة من المريدين وطلاب العلم الذين اسهموا في نشر علوم الإمام عليه السلام وتجيهاته فضلا عن وصاياه .

المقدمة

وصلت الدولة الأموية في عصر الإمام الباقر عليه السلام إلى مديات متقدمة على طريق انهيارها بعد عهود من الاستبداد والظلم والانقسام ، إذ وبعد ان استقر الامر لمعاوية بن ابي سفيان وقبل ان يمهد الطريق لولاية العهد لابنه يزيد عمل على اغتيال الإمام الحسن -عليه السلام- بواسطة دس السم اليه [١] ومن ثم قتل الإمام الحسين -عليه السلام- بأمر من طاغية الشام يزيد بن معاوية بن أابي سفيان في الوقعة التي كانت مرحلة فاصلة في مراحل التاريخ الإسلامي وهي وقعة الطف وما جرى فيها من قتل لأهل بيت النبوة وخلص اصحابهم سنة ٦١ هـ .[٢]

فضلاً عن ذلك كانت وقعة الحرة [٣] وما رافقها من استباحة لمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وما رافق ذلك من فضائع بينت بما لا لبس فيه أن الصراع بين علي بن أبي طالب وولده -عليهما السلام- وبني امية لم يكن صراعاً هاشمياً امويا كما تصور ذلك العديد من المصادر الإسلامية وتؤصل له [٤] بل كان واضحاً ان الصراع كان بين من يمثل استمراراً لمنهج النبوة ومن يمثل منهج القبيلة، وهذا ما كان واضحاً في سيرة الحكام الامويين لاحقاً .

فضلاً عن ما تقدم فما حصل من حصار لمكة المكرمة وضربها بالمنجنيق [٥] من قبل الابن البار للأمويين الحجاج بن يوسف الثقفي [٦] الذي لم يكن إلا سيف جور مسلطاعلى رقاب الرعية.

إضافة لما تقدم فإن الصراعات الداخلية للأسرة الأموية بعد تنازل معاوية بن يزيد بن معاوية عن الحكم [٧] واستقرار الملك لمروان بن الحكم وبنيه من بعده .

ان الإسلام الحنيف بعد ان اطل بنوره الساطع وحرر الناس من رق العبودية وجعلهم سواسية كاسنان المشط يتذوقون حلاوة العدالة الإسلامية ولاسيما في الصدر الأول من الحكم الإسلامي عاد فتحول إلى شكل آخر بعد تسلط الأمويين الذين استثمروا الفتوح والانسياح في البلدان لجلب الرقيق والعبيد واغتنام الاموال مما اسهم بشكل فعال في زيادة الانقسام الاجتماعي والانحراف الفكري والأخلاقي والاقتصادي في الدولة، إذ ساد التمايز الطبقي في المجتمع الإسلامي بأوسع اشكاله .

إن الحكام الأمويين سرعان ما اقتبسوا مظاهر الترف والأبهة الامبراطورية لوسم بلاطهم[٨] بها مما انعكس سلباً على قيم المجتمع آنذاك ومما أسهم في ذلك أيضاً كثرة الأموال الواردة من البلدان المفتوحة فضلاً عن العبيد والموالي والجواري الذين ازدادت اعدادهم في حواضر الأمصار الإسلامية آنذاك كالمدينة ومكة والكوفة و واسط والبصرة والقيروان والشام .

كان لأنشغال الامويين في صراعاتهم الداخلية [٩] وقمع الثورات التي داهمتهم [١٠] الفرصة المهمة للإمام الباقر عليه السلام والتي لم تتهيأ لغيره ممن سبقه من الأئمة الاطهار لنشر علوم أهل البيت عليهم السلام فضلاً عن مواجهة الانحرافات الفكرية من خلال اطروحات اكد فيها على التوحيد في مواجهة الفرق الضالة فضلاً عن تعليم سيرة الرسول صلى الله عليه وآله ومغازيه وبيان احكام القرآن الكريم واستنباط الاحكام الشرعية. [١١]

ومما شكل مساراً مهماً من مسارات المواجهة مع الحاكمية الاموية كان مواجهة الانحراف الأخلاقي في المجتمع الإسلامي عامة ومجتمع الجزيرة العربية خاصة؛ لما يمثله من مرتكز وقبلة تشخص اليها انظار المسلمين من كل حدَبٍ وصوب .

مهد الإمام الباقر عليه السلام لذلك كله باختيار مريدين خُلص ، ضمن فيهم صلاح العقيدة وصدق النية والإخلاص، كانوا وسيلة مهمة في نشر اطروحاته الفكرية في العلوم والتربية والمواجهة [١٢] .

يعي الإمام الباقر عليه السلام - وهو سليل النبوة وترجمان القرآن الكريم- أن مظاهر الترف كانت من أهم الأسباب التي اسهمت في انهيار المنظومة القيمية للمجتمع الإسلامي فضلاً عن التنازع والتخاصم وما الانحراف الأخلاقي والفكري إلا نتاج الترف المؤدي إلى الدعة والسكون والسلوكيات المنحرفة .

تنبه ابن خلدون (ت٨٠٨ هـ) إلى ذلك لاحقاً، إذ صاغ نظريته في نشأة الدول وانهيارها استناداً إلى عوامل التقشف والبذخ والاسراف وقيم العصبية القبلية مع انعكاس ذلك كله على وحدة المجتمع وتماسكه وذلك ليس من مجالات البحث هنا [١٣].

السؤال الذي يتبادر لنا هنا ؛ لماذا نحاول اليوم العودة لذلك التراث الثر للإمام الباقر عليه السلام والذي حاول من خلاله مواجهة الانحرافات الفكرية والاقتصادية والأخلاقية في المجتمع الإسلامي آنذاك ؟

نرى ان استحضار سيّر الأئمة الأطهار عليهم السلام والاحتفاء بولاداتهم وتواريخ استشهادهم إنما تشكل محطات مهمة لمواجهة الذات وتصحيح المسارات؛ اذ ان استلهام القيم الروحية والسلوكية التي خطها أئمة اهل البيت عليهم السلام يمثل محطات مهمة لإعادة البناء الفكري والسلوكي للإنسان في كل زمان ومكان؛ إذ ان المتغيرات الفكرية والمادية على مر العصور تمثل مسارات مهمة في التأثير العقائدي والمتبنيات الفكرية والسلوكية للمجتمعات ومنها المجتمع الإسلامي .

ان على المريد الهيام بمحبوبه هياماً سلوكياً يعبر من خلاله الالتزام بالمنهج الذي يجب عليه اتباعه، فكيف إذا كان هذا المحبوب إماماً معصوماً مفترض الطاعة من أهل بيت النبوة عليهم السلام .

ويفرض على المتمسك بنهجهم سلوك هذا النهج قولاً وعملاً؛ لأنه يمثل طريق الخلاص ومجابهة كل التيارات المنحرفة والسلوكيات الضالة ووسائل الهدم وتفتيت وحدة المجتمعات الإنسانية .

ان الالتزام بالمنهج العلمي في الكتابة عن حياة الإمام الباقر عليه السلام بمفرده لا تؤدي بنا للإفادة من إرثه النبوي؛ إذ ان عرض المادة العلمية فقط من دون التأكيد على التفكر والتدبر الذي أمر به القرآن الكريم وحث عليه للوصول إلى حالة من الاندماج الفكري والسلوكي مع أهل بيت النبوة سلام الله عليهم لن يوصلنا إلى مبتغانا .

ومما تقدم يجد الباحث ان إعادة قراءة متمعنة وفاحصة للنصوص الفكرية والتربوية وللوصايا وللمقولات الواردة عن الإمام الباقر وآبائه وأولاده ﷺ توفر حصانة تامة للفرد والمجتمع أمام كل التحديات التي نواجهها اليوم .

إن كل الاطروحات التي تضمنتها تلك النصوص لم تكن تمثل حلولاً مرحلية لمشاكل آنية بل هي خطوط لبناء الانسان وتحصينه إزاء كل مغريات الحياة المادية وتشرع أمامه كل مسارات الرقي والارتقاء نحو الاندماج في ما أراده الله تعالى من بني آدم .

ان إعادة قراءة تلك النصوص توفر لنا ملاذاً وحلًّا مهماً لما نعانيه اليوم من غربة وهجمة مادية تحاول باسم الديمقراطية والتحضر والنظام العالمي الجديد تمزيق وحدة المجتمعات الإسلامية باستعمال الوسائل الالكترونية عامة ووسائل التواصل الاجتماعي خاصة للولوج في كل الأماكن المقفلة في البيئة الإسلامية بدءاً من الفرد والاسرة ووصولا إلى المجتمع .

ان أعداء الإسلام والمسلمين بدءاً من القرن الثاني عشر الميلادي هبوا لتعلم العربية ودراسة القرآن الكريم في بلاد الاندلس لمحاربة الإسلام بعناصر قوته وهذا ليس من مجال البحث هنا إلا ان الاشارة لذلك توضح لنا بما لا لبس فيه انهم مستمرون بمحاربته بمختلف الصعد لأنهم على معرفة بان سر قوة المسلمين هو قرآنهم وإسلامهم (مبادئ وروح) مع منظومة القيم التي توارثوها على مر العصور تلك التي استنبطوها من مبادئ دينهم الحنيف؛ لذا فإن أعداء الإسلام والمسلمين اليوم يعملون على اشغالهم عن ذلك وهو السبيل الناجع للسيطرة عليهم.

أوراق من سيرة الإمام الباقر ﷺ

هو أبو جعفر محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب [١٤]

ولد في المدينة المنورة سنة ست وخمسين للهجرة في مطلع رجب وقيل في مطلع صفر [١٥] وقيل سنة سبع وخمسين [١٦] .

أمه ام عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ [١٧] وهو هاشمي من هاشميين وعلوي من علويين. [١٨]

كنيته أبو جعفر وألقابه ثلاثة : الباقر والشاكر والهادي وأشهرها الباقر . [١٩]

عاصر الامويين حتى ملك هشام بن عبد الملك بن مروان. [٢٠]

أدرك جده الحسين عليه السلام وبقي معه أربع سنين وحضر الطف. [٢١]

ترك سبعة أولاد بين ذكر وأنثى ، أكبرهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وبه كان يكنى من زوجته فاطمة أو قريبة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر المكناة ام فروة وامها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر [٢٢]

قيل له الباقر؛ لانه بقر العلم، أي: شقه وعرف أصله وخفيه وتوسع فيه [٢٣] .

توفي الإمام الباقر عليه السلام سنة مائة واربع عشرة للهجرة في السابع عشر من شهر ذي الحجة وقيل في ربيع الأول وعمره سبعة وخمسون عاما ودفن في البقيع وقيل في سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ومنهم من قال سنة ثماني عشرة ومائة (٢٤)

روايته ورواته :

روى عن جابر بن عبد الله الانصاري وروى عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وأنس ، وعن الحسن والحسين عليهما السلام، وأسند عن سعيد بن المسيب ، وعبيد الله بن ابي رافع، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي ، والاعرج ، والزهري ، وربيعة برأي ، وعمر بن دينار، وعطاء بن أبي رباح ، وجابر الجعفي ، وأبان بن تغلب ، وروى عنه من الأئمة الاعلام ليث بن أبي سليم ، وابن جريح ، وحجاج بن ارطأة وآخرين [٢٥] .

أشهر تلامذته

أبان بن تغلب الذي كان مقدماً في كل فن من فنون العلم [٢٦] وهو الذي عوتب مرة في كثرة روايته عن الإمام الباقر عليه السلام فقال : ((كيف تلوموني في روايتي لرجل ما سألته عن شيء إلا قال : قال رسول الله)) [٢٧] .

وهذا مما يؤكد أن رواية أهل بيت النبوة سلام الله عليهم هي من أدق الروايات لارتباطها بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله عن الإمام عن آبائه .

وهو الذي أمره الإمام الباقر عليه السلام بالجلوس في مسجد المدينة للافتاء بقوله : ((اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فإني أُحب أن يُرى في شيعتي مثلك)) [٢٨].

ومن تلامذته زرارة بن اعين وكان مرجعاً في الفقه والرواية على مذهب اهل البيت ﷺ، ومنهم محمد بن مسلم الثقفي، ومحمد بن علي بن النعمان الملقب بمؤمن الطاق ومنهم يزيد العجلي وجابر الجعفي والفضيل بن يسار وأبو بصير الآمدي وعبد الله بن مكان وأبان بن عثمان الأحمر، وحريز بن عبد الله، وعبد الله بن جندب، وعلي بن النعمان وصفوان الجمال[٢٩].

أقوال العلماء فيه :

وصفه الشيخ المفيد بقوله :

((لم يظهر عن أحد من ولد الحسن أو الحسين عليهما السلام من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الاداب ما ظهر عن ابي جعفر ﷺ وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤيا فقهاء المسلمين وصار بالفضل علماً لأهله تضرب به الامثال وتسير بوصفه الاثار والاشعار)) .[٣٠]

وعنه أيضاً : ((وقد روى أبو جعفر ﷺ اخبار المبتدأ واخبار الأنبياء وكتب عنه الناس المغازي وآثروا عنه السنن واعتمدوا عليه في مناسك الحج التي رواها عن رسول الله ﷺ وكتبوا عنه تفسير القرآن. وروت عنه الخاصة والعامة الأخبار وحفظ الناس عنه كثيراً من علم الكلام)) [٣١] .

وصفه أبو نعيم في الحلية بقوله : ((ومنهم الحاضر الذاكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر بن محمد علي الباقر، كان من سلالة النبوة، ومن جمع حسب الدين والنبوة، تكلم في العوارض والخطرات، وسفح الدموع والعبرات، ونهى عن المراء والخصومات))[٣٢] .

وصفه ابن العماد الحنبلي بقوله : كان من فقهاء المدينة وهو أحد الائمة الإثني عشر على اعتقاد الإمامية)) [٣٣]

كما نقل قول عبد الله بن عطاء بحق الإمام اذ قال : ((ما رأيت العلماء عند احد اصغر منهم علماً عنده)) [٣٤] .

الخلاص في سلوك وفكر الإمام الباقر ﷺ

سبق وأن أشرنا إلى ان الظروف التي تهيأت للإمام الباقر فضلا عن الإمام الصادق ﷺ لم تتهيأ لغيرهما من الائمة عليهما السلام بسبب بوادر النقمة العارمة على سياسة الامويين

والدعوة في مختلف البلدان للتخلص منهم مما دعا الأمويين إلى اتخاذ موقف من أهل البيت عليهم السلام أكثر اعتدالاً مما كانوا عليه بالأمس [٣٥].

فضلاً عن ذلك فإن مظاهر الترف قد بلغت أوجها في البلاد الإسلامية ((إذ وجدت زمن الباقر مجموعات عديدة لم تكن راضية عن حكامها فالمتدينون اقلقهم بلا شك حال الأمور التي غرق فيها المجتمع . وقد مقتوا على نحو خاص أولئك الحكام الذين اسسوا من خلال اتباعهم نموذج حياة مترفة ، مثالاً غير مرغوب فيه للآخرين مجيزين بهذا الشكل ما كرهه الدين))[٣٦].

((وكانت المدينتان التوءمتان ، مكة والمدينة ولاسيما مكة قد تحولتا إلى مركزين للترف والرفاهية انصبت فيهما الثروة والفتيات المغنيات من الأراضي المفتوحة وقد دفع هذا الامر بالكثير من الناس إلى الانغماس في ألعاب من الزمن الغابر والنرد وفي عادات مثل شرب المسكرات والقمار)) [٣٧].

كان رد الإمام الباقر عليه السلام معبراً عن مسؤوليته الشرعية والأخلاقية تجاه الأمة التي كانت تنتظر منه وهو سليل النبوة، سبل الخروج من هذا السبيل المؤذن بخراب الأمة الإسلامية والعود بها إلى سابق عهدها من الجاهلية فما كان منه الا ان تصدى وقاد حركة المقاومة السلمية لمظاهر الانحراف بوضع احكام للسلوك شاملة للامور الدينية والأخلاقية.

وهنا كان الإمام الباقر عليه السلام قبلة لكثير من العلماء المسلمين وغير المسلمين الذين سعوا اليه يطلبون الحلول العلمية والسلوكية وفي ذلك كان القرآن الكريم والسنة النبوية الأصل الذي أطر من خلاله اطروحته في مواجهة كل مظاهر الانحراف الفكري والأخلاقي الذي شهدته الامة .[٣٨]

ومما لابد من قوله هنا أنه ليس من موجبات البحث تناول أصول تأسيس المدرسة الفكرية؛ بل الاشارة إلى سبل مواجهة الانحراف الأخلاقي في المجتمع الإسلامي؛ لذا فإن تركيز البحث سيكون على النصوص الواردة والمأثورة عن الإمام الباقر عليه السلام، والتي حاول من خلالها حث مريديه وطلابه وعامة المسلمين على الاخذ بها والاستنان بها التزاماً بسنة جده المصطفى صلى الله عليه وآله .

إذ ومن خلال ممارسة دوره في ((خدمة الإسلام عن طريق الدفاع عن اصوله ومبادئه ونشر تعاليمه وأحكامه ، ومناظرة الفرق التي انحرفت في تفكيرها واتجاهاتها ، انصرف الإمام عليه السلام

للدفاع عن العقيدة ونشر تعاليم الإسلام، فالتف حوله الالاف من العلماء وطلاب العلم والحديث من الشيعة وغيرهم)) (٣٩) .

فما كان منه إلا استثمار هؤلاء في طرح مقولاته السلوكية جنباً إلى جنب مع اطروحاته العلمية، إذ كان كثيرا ما يعمل بأسلوب العظة والوصية واستذكار اطروحات جده وآبائه في التمسك بالآخرة والتقوى والقيم الإسلامية وبيان ما للمسلمين وما عليهم لدنياهم وآخرتهم، وهنا حفلت المصادر الإسلامية بكثير من الحكم والوصايا والمقولات التي تحث على الصلاح وحسن السيرة والابتعاد عن زخرف الدنيا، ومما نجده مهماً للاستذكار اليوم الآتي من المقولات التي يصف فيها الإمام عليه السلام المسلمين وأحوالهم آنذاك، وكأنه يتحدث بلغة الحاضر فما علينا إلا التمسك بالقوانين السلوكية التي خطها لنا ؛ فإن صلاح الفرد يعني صلاح الأسرة وصلاحها معاً يعني صلاح المجتمع .

نماذج مختارة من أقوال الإمام الباقر عليه السلام مواجهة الانحراف الأخلاقي

في حثه على الزهد يقول الإمام الباقر عليه السلام :

((ما لك من عيشك الا لذة تزدلف بك إلى حجامك، وتقربك من يومك، فأية أكلة ليس معها غصص! أو شربة ليس معها شرق ! فتأمل أمرك ؛ فكأنك قد صرت الحبيب المفقود ، والخيال المخترم . اهل الدنيا اهل سفر لا يحلون عقد رحالها الا في غيرها)) (٤٠)

روى عنه ابن سعد بسنده عن جابر : ((قال لي محمد بن علي يا جابر لا تخاصم فإن الخصومة تكذب القران)) (٤١)

كما روي عنه في الخصومة قوله : ((اياكم والخصومة فإنها تفسد القلب وتورث النفاق)) (٤٢).

وروي عنه في حسن الخلق قوله : ((من أعطي الخلق والرفق فقد اعطي الخير كله والراحة وحسن حاله في دنياه وآخرته ومن حرم الرفق والخلق كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبلية الا من عصمة الله تعالى)) (٤٣).

كما روي عنه قوله : ((ما من شيء احب إلى الله عز وجل من ان يسأل ، وما يدفع القضاء الا الدعاء ، وأن اسرع الخير ثواباً البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي ، وكفى بالمرء عيباً ان يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه ، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه)) (٤٤) .

ومما روي عنه قوله : ((ما دخل قلب امرئ بشيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخل من ذلك ؛ قل ذلك أو كثر))[٤٥].

وفي وصفه لشيعته قوله :

((شيعتنا ثلاثة أصناف ، صنف يأكلون الناس بنا ، وصنف كالزجاج ينهشم، وصنف كالذهب الأحمر كل ما دخل النار ازداد جودة)).[٤٦]

فضلاً عن قوله : ((شيعتنا من اطاع الله عز وجل)).[٤٧]

وروي عنه قوله : ((اذا رأيتم القارئ يحب الأغنياء فهو صاحب دنيا، واذا رأيتموه يلازم السلطان من غير ضرورة فهو لص)) [٤٨].

ومن قوله في وصف الدنيا :

((إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها ، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة ، ولم يعمهم من نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ففازوا بثواب الابرار ، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة إن نسيت ذكروك وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق الله ، قوامين بأمر الله، قطعوا محبتهم بمحبة الله عز وجل ونظروا إلى الله عز وجل وإلى محبتهم بقلوبهم ، وتوحشوا من الدنيا لطاعة مليكهم ، وعلموا ان ذلك منظور إليهم من شأنهم ، فأنزل الدنيا بمنزلة نزلت به وارتحلت عنه ، أو إكمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه بشيء، واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه أو حكمته))[٤٩].

ومما روي عنه قوله :

((البشر الحسن ، وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة وقربة من الله وعبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت وبعد من الله)). [٥٠]

ومما تقدم نجد أن الإمام الباقر عليه السلام كان قد نهج على نهج أبيه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في مقارعة السلطة الأموية الحاكمة ، فإذا كان الإمام السجاد عليه السلام قد نهج الدعاء وسيلة مهمة للتأثير في المسلمين وبيان حقوق الرعية وتفويض أمرها إلى الله تعالى؛ فها نحن نجد ان الإمام الباقر عليه السلام وبعد أن شرع بتأسيس المدرسة الفكرية المبكرة مستنداً إلى ما جاء في

القرآن الكريم والسنة النبوية مترجما لها ومفسراً ومبيناً لأحكام الله تعالى ومنهاج النبوة نجده يستعمل العظة والوصية بعد الدرس والشرح ، وسيلة للحث على تجنب الخصام والمخاصمة طريقا ومنهجاً للخلاص والوصول إلى المقاربات الفكرية بين المتنازعين من المسلمين فكراً، وحث الخاصة والعامة على الالتزام بالثوابت السلوكية التي حدد مساراتها الرسول الكريم محمد ﷺ حديثاً وسيرة، إذ كان غالباً ما يدعو للتقوى فهي مفتاح كل خير والرفق والخلق والبر وتجنب البغي والكبر ومجالسة الأغنياء وأرباب السلطة من قبل العلماء إلا لضرورة .

الاستنتاجات

– شهد عصر الإمام الباقر ﷺ ترفاً اقتصادياً و وفرة مالية أسهما في انتشار مظاهر الانحراف الفكري والأخلاقي في المجتمع الإسلامي .

– نهج الإمام الباقر ﷺ منهجاً ذا مسارين لمواجهة الانحرافات التي شهدها عصره الأول : المنهج العلمي والثاني : المنهج السلوكي .

– حرص الإمام الباقر ﷺ على اختيار النخبة المحيطة به والمقربة منه ممن امتازت بالعلم والتمسك بالمنهج النبوي الأصيل، ولم يلتفت لقيم المجتمع التي تعتمد قيم البداوة في تقريب رؤساء القبائل و وجوه القوم ، وفي ذلك إحياء لسيرة جده المصطفى ﷺ .

– حرص الإمام الباقر ﷺ على نشر مبادئ التوحيد والحث على الالتزام بالسيرة النبوية العطرة فكراً وسلوكاً لمواجهة الانحرافات الأموية .

– لم يجد الإمام الباقر ﷺ حرجاً في البراءة من كل من التصق به وانحرف عن المسار الذي خطه لأتباعه و مريديه، الامر الذي وسم مدرسته الفكرية ومبادئه الأخلاقية بالتميز والابداع .

الهوامش

١-اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ص ١٥٦ ؛ المسعودي: التنبيه والاشراف ص ٣٠١

٢-م.ن.ص١٦٩-١٧١ ؛ المسعودي : التنبيه والاشراف ص٣٠٣

٣-م.ن.ص١٧٤ - ١٧٥

٤-ابن حبيب : المنمق ص٩٠- ٩١ ،٩٧ -١٠٠

٥-اليعقوبي : تاريخ ج٢ ص١٧٥-١٧٦ ،١٨١-١٨٦

٦-المسعودي : كتاب التنبيه والاشراف ص٣١٤-٣١٥ ؛ المسعودي : اثبات الوصية ص ١٨٢-١٨٣ ؛ المسعودي :مروج الذهب ج٣ ص١٦٦-١٦٧

٧-اليعقوبي : تاريخ ، ج٢ ص١٧٧ ؛المسعودي كتاب التنبيه والاشراف ص٣٠٦-٣٠٧ ؛ المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص٢٣٢

٨-. المسعودي :اخبار الزمان ص١١٢-١١٣

٩-اليعقوبي : تاريخ ج٢ ص١٧٨-١٧٩

١٠-اليعقوبي: تاريخ ج٢ ص١٧٤، ١٧٥، ١٧٩ ، ١٨٠ ،١٨١

١١-هاشم معروف الحسني : سيرة الأئمة : مج٢ ص١٩٤-١٩٥

١٢-م.ن. ص١٩٦-١٩٧

١٣-ابن خلدون : (ت٨٠٨ هـ) المقدمة ص١٦٧-١٧٠

١٤-المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص٢١٩ . المسعودي : اثبات الوصية ص١٨٧-١٩٣ . ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ ص٦٢-٧٣ ؛ ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب مج١ ص١٤٩

١٥-المفيد : الارشاد ص٢٤٥

١٦-المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص٢١٩ ؛ العاملي، علي بن الحسين : المختار من حياة الائمة الابرار ج١ ص٥١٣ .

١٧-ابن سعد : الطبقات ج٥ ص ١٥٦ ؛ الشيخ المفيد : الارشاد ص٢٤٤ ؛ العاملي ، علي بن الحسين : المختار من حياة الائمة الابرار ج١ ص٥١٣ .

١٨-الشيخ المفيد : الارشاد ص٢٤٥

١٩-سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ج٢ ص٤٢٤ ؛ الشيخ عباس القمي : منتهى الآمال ص٤٧٠

٢٠-باقر شريف القرشي : حياة الإمام الباقر ج١ ص ٦٨-٧١ ؛ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص٩٩

٢١-الشيخ عباس القمي : منتهى الآمال ص٤٦٩ ؛ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص١٨٧

٢٢-سبط ابن الجوزي : تذكرة الخواص ج٢ ص٤٢٣

٢٣-ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب مج١ ص١٤٩

٢٤-ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٥٨ ؛ الشيخ المفيد : الارشاد ص٢٤٥ ؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١

ص٦٥ .
٢٥-الشيخ المفيد : الارشاد ص٢٤٦ ؛ ابو نعيم : الحلية ج٣ ص١٨٨ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب مج١ ص ١٤٩ ؛هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص ١٩١ .
٢٦-باقر شريف القرشي : حياة الإمام الباقر -ع- ج١ ص١٩١ - ١٩٥ ؛ هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص١٩٧ ؛
٢٧-هاشم معروف الحسني : سيرة الائمة مج٢ ص١٩٧
٢٨-م.ن. ص ١٩٦
٢٩-م.ن.ص١٩٦ -١٩٩
٣٠-الشيخ المفيد : الارشاد ص ٢٤٥
٣١-م.ن. ص ٢٤٧
٣٢-أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٨٠
٣٣-ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب مج١ ص١٤٩
٣٤-ابن الجوزي : صفة الصفوة ج١ ص٦٤ ؛ ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب مج١ ص١٤٩
٣٥-هاشم معروف الحسني : سيرة الأئمة مج٢ ص١٩٤
٣٦-الرزينة ر. لالاني : الفكر الشيعي المبكر ص٢٨
٣٧-م.ن.
٣٨-ينظر : الرزينة لالاني : الفكر الشيعي المبكر ص٣٠-٣١
٣٩-هاشم معروف الحسني : سيرة الأئمة مج٢ ص ١٨٨-١٨٩
٤٠-المبرد : الكامل في اللغة والادب ص١١١
٤١-ابن سعد : الطبقات ج٥ ص١٥٦
٤٢-أبو نعيم : الحلية ج٣ ص١٨٤
٤٣-م.ن.ص ١٨٦ -١٨٧
٤٤-م.ن. ص ١٨٨
٤٥-م.ن.ص١٨٠
٤٦-م.ن. ص١٨٣
٤٧-م.ن. ص١٨٤
٤٨-م.ن. ص١٨٤
٤٩-م.ن. ص١٨٢
٥٠-ابن شعبة الحراني : تحف العقول ص٢١٧

المصادر والمراجع

* ابن الجوزي ، جلال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٧٩ هـ)
* صفة الصفوة ، تحقيق أبي عمرو الاثري ، دار الغد الجديد (مصر ٢٠١٣)
* ابن حبيب ، محمد البغدادي (ت٢٤٥ هـ) :
* كتاب المنمق في اخبار قريش ، عالم الكتب (بيروت ٢٠١٠)
* ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) :
* مقدمة ابن خلدون ،دار القلم (بيروت ١٩٧٨)
* سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قزغلي (ت ٦٥٤ هـ)
* تذكرة الخواص من الامة بذكر خصائص الائمة،تحقيق : حسين تقي زادة (ايران ١٤٢٦ هـ)
* ابن سعد محمد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ)
* الطبقات الكبرى ،دار احياء التراث العربي (بيروت لا ت)
* ابن شعبة الحراني ، ابو محمد الحسن بن علي (ت ق ٤ هـ) :
* تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله ، مؤسسة الاعلمي ط ٥ (بيروت ١٩٧٤)
* ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ) :
* شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار احياء التراث العربي (بيروت لا ت)
* المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ) :
* الكامل في اللغة والادب ، دار احياء التراث العربي (بيروت ٢٠١٢)
* المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) :
* اخبار الزمان وعجائب البلدان ، : خالد علي نبهان ، مكتبة النافذة ،دار طيبة (مصر ٢٠١٣)
* اثبات الوصية ، دار الاندلس (النجف الاشرف ٢٠٠٩)
* التنبيه والاشراف مطبعة بريل (ليدن ١٨٩٣)
* مروج الذهب ومعادن الجوهر ،دار الاندلس (بيروت لا ت)
* المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣ هـ) :
* الارشاد في سيرة الائمة الاثني عشر ، دار الجوادين ، (بيروت ٢٠١٢)
* ابو نعيم الاصفهاني ، احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ) :
* حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ،دار الكتب العلمية (بيروت ١٩٨٨)
* اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر بن واضح (ت ٢٩٢ هـ) :
* تاريخ اليعقوبي ، مطبعة شريعت (قم ١٤٢٥ هـ)

المراجع

* باقر شريف القرشي
* حياة الإمام الباقر عليه السلام مطبعة القضاء (النجف الاشرف ١٩٧٨)
* الرزينة ر. لالاني :
* الفكر الشيعي المبكر ،تعاليم الإمام محمد الباقر ،دار الساقي (بيروت ٢٠٠٤)
* الشيخ عباس القمي :
* منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية (كربلاء لا ت)
* العاملي ، علي بن الحسين (ت ١١٣٥ هـ) :
* المختار من اخبار الائمة الابرار ، تحقيق : الشيخ عبد الحليم عوض الحلي ، السيد خالد الغريفي الموسوي ،العتبة الحسينية المقدسة (العراق ٢٠١٥)
* هاشم معروف الحسني :
* سيرة الائمة الاثني عشر ،منشورات الإمام الرضا ط٧ (بيروت لا ت)

جهود الإمام الباقر عليه السلام
في تنزيه العقيدة الإسلامية من الغلو والتطرف

أ.د. صبحي عودة محمد

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

تمهيد

تضمن هذا البحث على أهم النقاط في سيرته عليه السلام ونسبه الشريف من جهة جده لأبيه وأمه، وقد شهد له جميع العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية بالعلم والفضل وسمو الأدب وحُسن الخلق، وبيان حجم خطورة الحركات الغالية التي ظهرت في زمانه، والتي كانت تدعو إلى الخرافات والأساطير باسمه، تلك الحركات التي كادت تقضي على العقيدة الإسلامية لولا جهود الإمام الباقر عليه السلام في ردها وبيان تفاهة دعوتها وتبرئة نفسه منها، ذلك من خلال أمره بالمعروف ونهيهِ عن المنكر وفقاً لما أمر به القرآن الكريم في الدعوة إلى الحكمة والموعظة الحسنة وجدالهم بالتي هي أحسن، وتميز هذا البحث بوفرة المصادر من كافة المذاهب الإسلامية، وعلى الرغم من قلة صفحاته فهو يمثل رؤية إسلامية شاملة فيما تناولناه.

المقدمة

هذا البحث الموسوم بـ (جهود الإمام الباقر عليه السلام في تنزيه العقيدة الإسلامية من الغلو والتطرف) هو محاولة لتسليط الضوء على إمام من أئمة المسلمين بصورة عامة ومن أئمة أهل البيت عليهم السلام بصورة خاصة، وهو الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المعروف بـ (الباقر).

وقد تناولنا في المطلب الأول جانباً من سيرته الخاصة بالأئمة المعصومين عليهم السلام من خلال بحث منهجي أكاديمي معتمدين على مصادر متعددة ومتنوعة.

وتناولنا في المطلب الثاني جهوده في تنزيه الفكر الإسلامي من الدس والإفتراء والتخريف والغلو والتقصير، وذلك من خلال رؤية الإمام عليه السلام في الدعوة المنطبقة مع القرآن الكريم بالحكمة والموعظة الحسنة، وجدال المعارضين بالتي هي أحسن.

ومن الجدير بالذكر تعرض الإمام الباقر عليه السلام إلى حملة منظمة من قبل جماعات متطرفة انتحلت مكانته العلمية والعلوية بغية نشرها أفكاراً بالضد من رؤية الإمام في العقيدة الإسلامية، وهذه الظاهرة هي التي استعملها الجبابرة لتشويه كل من يقف بالضد من مصالحهم غير المشروعة.

إن ظاهرة تلك الجماعات التي غالت في الإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق عليهما السلام هي

أكثر خطراً من الجماعات المسلحة التي مارست قتل أئمة أهل البيت ﷺ؛ لأن قتل كل شخصية فكرية لا يعني إنهاء فكرها، فالفكر يبقى خالداً بعد قتل كل مفكر عظيم، بل قد يكون قتله بمثابة تحفيز الناس على مراجعة فكره، ولكن تغطية فكر أي مفكر عظيم بخرافات مخالفة لفكره وانتحال صفته، هي من أعظم المخاطر وأشد من قتله؛ لأنها ستغطي على أفكار ذلك المفكر وتطيح بها بالكامل.

وهذا ما حصل للإمام الباقر ﷺ، إذ ظهرت في زمانه فرق غالية كثيرة تدعي ارتباطها بالإمام زوراً وبهتاناً وفي الحقيقة هي بالضد من رؤية الإمام بصورة كاملة، وقد وقف الإمام بالضد منها.

أما المطلب الثالث فخصصناه برؤية الإمام الباقر ﷺ في الدعوة الإسلامية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان العقيدة الإسلامية التي حاولت تلك الفرق تشويهها والقضاء عليها، وهذه الظاهرة ينبغي الوقوف عليها أكثر مما في هذا البحث؛ لأن لها أثراً كبيراً في تشويه مدرسة أهل البيت ﷺ إلى يومنا هذا، وينبغي أيضاً الوقوف بدقة علمية ومنهجية في معرفة ظهور تلك الفرق الغالية التي كانت تنتحل صفة الإمام ﷺ والإمام يكرر أمام الملأ نكرانه لها، ويعلن مراراً أمام أتباعه بأنها أفكار ليس لها علاقة بحقيقة الإسلام جملة وتفصيلا.

هذا ما سنتناول عرضه في هذا المؤتمر المبارك، سائلين المولى القدير السداد والتوفيق للوصول إلى الحقيقة، والله تعالى من وراء القصد .

المطلب الأول ـ نبذه عن سيرة الإمام الباقر ﷺ

هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر ﷺ، أمه أم عبد الله بنت الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، وقد قال فيه القرظي:

ياباقر العلم لأهل التقى وخير من لبّى على الأجل [1]

وقال عنه الحافظ الذهبي (الإمام الثبت الهاشمي العلوي المدني أحد الأعلام .. كان أحد من جمع العلم والفقه والشرف والديانة والثقة والسؤدد، وكان يصلح للخلافة)[2].

وقال عنه ابن كثير (محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو

جعفر الباقر، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي، هو تابعي جليل كبير القدر كثيراً، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً) وقال عنه الحافظ بن حجر العسقلاني (محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر ثقة فاضل) [٣].

وقد ولد الإمام سنة ست وخمسين على قول أحمد البرقي، وكان ذلك قبل استشهاد سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام بأربع سنين، قال الإمام الباقر عليه السلام (قُتل جدي الحسين ولي أربع سنين، وإني لأذكر مقتله، وما نالنا في ذلك الوقت) [٤].

وقال ابن خلكان (إن مولده كان يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة، وكان عمره يوم قتل جده الإمام الحسين عليه السلام ثلاث سنين) [٥].

وكان عليه السلام ثقةً عابداً زاهداً عالماً ورعاً، اجتمعت فيه الفضائل، وقد مَدحهُ خلق كثير ممن عاصروه [٦].

وأم الإمام الباقر هي بنت الإمام الحسن عليه السلام كما ذكرنا ذلك قبل قليل، وقد جمع النسب الشريف للنبي صلى الله عليه وآله من جهتين: جهة جده لأبيه الإمام الحسين عليه السلام والجهة الثانية: لأمه بنت الإمام الحسن عليه السلام [٧].

أما إخوانه فيذكر أبو الجارود زياد بن المنذر مادحاً اخوته فيقول: (قيل لأبي جعفر الباقر عليه السلام أي إخوتك أحبُّ إليك وأفضل؟ قال: أما عبد الله فهو يدي التي أبطش بها ـ وكان عبد الله أخيه لأبيه وأمه ـ وأما عمر فبصري الذي أبصر به، وأما زيد فلساني الذي أنطق به، وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) [٨].

ومن إخوته أيضاً الإمام زيد الشهيد عليه السلام، ويُقال إنَّه كان إذا تناظر زيد وأخوه الباقر عليهما السلام اجتمع حولهما الناس بالمحابر يكتبون ما يصدر عنهما من العلم [٩].

ومن إخوته عمر الذي توفي وهو ابن سبعين سنة، وكان أحد كبار العلماء في عصره، وكان المتولي لصدقات جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومن أقواله المأثورة (المفرط في حبنا كالمفرط في بغضنا أنزلونا ما أنزلَنا الله تعالى به، ولا تقولوا فينا ما ليس فينا) [١٠].

ومن إخوته أيضاً عبد الله بن زين العابدين عليه السلام الذي كان من كبار أهل العلم ورواية الحديث، وقد توفي وهو ابن سبع وخمسين سنة. [١١].

ومن إخوانه أيضاً الحسين بن زين العابدين ﷺ وكان يُعرف بالحسين الأصغر، وقد روى كثيراً من الأحاديث والروايات عن أبيه وعن عمته فاطمة بنت الحسين وعن أخيه الإمام الباقر ﷺ وكتب الناس عنه الحديث، وقال عنه النسائي ثقة، وروى عنه النسائي والترمذي وآخرون، ومات سنة سبع وخمسين ومائة من الهجرة [١٢].

أما أولاد الإمام الباقر ﷺ فهم خمسة ذكور: عبد الله وإبراهيم وعبيد الله، وأمهما فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، مات صغيراً، وعلي مات صغيراً أيضاً، وبنتان هنَّ: زينب وأم سلمة، وكلتاهما لأم ولد [١٣].

أما وفاة الإمام الباقر ﷺ فاختلف فيها المؤرخون، فقيل مات سنة أربع عشرة بعد المئة، وقيل خمس عشرة ومائة، وقيل ست عشرة ومائة، وقيل سبع عشرة ومائة، وقال ابن سعد مات سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل سنة أربع عشرة ومائة، وكان نقش خاتمه (القوة لله جميعاً) [١٤].

وذكر الكفعمي روايات تفيد أن الإمام الباقر ﷺ مات مسموما، والذي دس له السم هو هشام بن عبد الملك [١٥]، وقال الطبري الذي دسَ له السم هو إبراهيم بن الوليد [١٦]. وقال النوبختي الذي دس له السم هو زيد بن الحسن [١٧]، بينما قال اليعقوبي في تاريخة كانت شهادة الإمام الباقر ﷺ في زمن هشام بن عبد الملك واكتفى بذلك فقط [١٨].

ومن خلال ما سبق يظهر أن الإمام الباقر ﷺ شهد له الجميع من مختلف المذاهب بالفضل والعلم والسؤدد.

المطلب الثاني ـ دور الإمام في تنزيه الإسلام

تميزت سيرة أهل البيت ﷺ بأنها ليست بدعة، وإنما هي مواصلة حقيقية لدعوة الرسول الأكرم ﷺ في جميع المجالات، وكان أحدهم يكمل الدعوة المحمدية بعد الآخر، ويقوم بنشرها في المجال النظري والعملي، واشتهر بالباقر؛ لأنه يبقر العلم بقراً، ومعنى ذلك أن النص القرآني والسُنّة الشريفة هما مصدرا الإسلام، وهذه النصوص هي عبارة عن كلمات مكونة من حروف وجمل تحتوي على دلالات ومعانٍ في داخلها، فلا تُعرف دلالة أي نص إلا من خلال الولوج إلى أعماق معناه المراد، وهذا الولوج هو الذي يسمى بقراً، لهذا فإن قراءة

أي نص قراءة معمقة بغية الوقوف على معناه تسمى بقر النص بهدف إخراج المعنى المراد، وعلى الرغم من مجازية مصطلح الباقر فيعدّ في مفهوم البحث الأكاديمي اليوم من أصناف الفلسفة التي هي كلمة إغريقية مكونة من جزأين (فيلو ـ سوفيا) ترجمتها إلى العربية (حب الحكمة) أي دراسة ما في داخل النص، أي: بقر النص وإخراج منه دلالات ومعان مراده من قائله بواسطة التأمل والتحليل والاستنتاج [١٩].

أما دور الإمام الباقر عليه السلام في المجال العقائدي فإنه قدم كثيراً من العطاء الفكري تجاه الإسلام مثل تنزيه التوحيد الإلهي من الشبهات والانحرافات التي أدخلتها الفرق الضالة والغالية التي انتحلت صفته، ودعا إلى تنزيه مقام النبوة، وكشف التحريف والافتراء على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي أدخلته تلك الفرق المذكورة على السُنّة النبوية الشريفة. [٢٠].

كما كان الإمام عليه السلام متفوقاً على أهل زمانه في علوم الدين، كأصول الدين والفقه، وعلوم القرآن الكريم، والسيرة، وفنون الآداب، وكان مثالاً في الفضل والزهد، وقد روي عنه كثير من الصحابة والتابعين، بل كان موضع الثقة عند الجميع [٢١].

وكان الإمام عليه السلام أيضاً مصدراً موثوقاً في رواية السُنّة الشريفة، وموضع ثقة في رواية أخبار الأنبياء، ومصدراً أساسياً في فقه مناسك الحج، والتفسير، وعلم الكلام وغيرها [٢٢].

ونجح في بناء نخبة من أصحابه كان يعتمد عليهم في حفظ ونقل أقواله وأفعاله وتقريراته بدقة وأمانة، يقول الشيخ الكشي ـ أحد أئمة علم الرجال ـ (أجمعت الجماعة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوز، ويزيد، وأبو بصير الأسدي، والفضل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، وقالوا: وأفقه الستة زرارة) [٢٣].

وقد ترجم الشيخ النجاشي زرارة بقوله: (أبو الحسن شيخ أصحابنا في زمانهم ... في الفقه والدين، صادقاً فيما يرويه) [٢٤].

ومن أصحاب الإمام الباقر عليه السلام أبان بن تغلب الذي قال عنه النجاشي: (عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبد الله عليهم السلام وروى عنهم، وكانت له عندهم منزلة

وقدر ... وكان قارئاً من وجوه القراء، وفقهياً لغوياً سمع من العرب وحكي عنهم)؛ لهذا قال له الإمام الباقر ﷺ اجلس في مسجد المدينة وافتي الناس، فإني أحبُ أن يرى في شيعتي مثلك)[٢٥].

ومن أصحاب الإمام ﷺ محمد بن مسلم الثقفي المعروف بأبي جعفر، الذي قال عنه النجاشي (وجه أصحابنا في الكوفة، كان فقيهاً ورعاً، صحب أبا جعفر وأبا عبد الله ﷺ وروي عنهما، وكان من أوثق الناس) [٢٦].

ومن أصحابه أيضاً جابر بن يزيد المعروف بأبي عبد الله الجعفي، وكان باباً من أبواب الإمام الباقر ﷺ ومن حملة أسراره [٢٧].

ومن خلال ما سبق يظهر نجاح الإمام الباقر ﷺ في زمانه أن يجمع حوله نخبة من العلماء الفضلاء، وهذا جعله ﷺ بواسطتهم التصدي للفرق الغالية التي ابتلي بها في زمانه، فتصدى لحركات الغلاة بمنتهى الحكمة والموعظة الحسنة، وهؤلاء الغلاة هم أخطر من وقفوا ضد دعوات أهل البيت ﷺ بصورة خاصة وضد الدعوة الإسلامية بصورة عامة، ومنهم دعوة الإمام الباقر ﷺ.

قال الشهرستاني: الغالية هم الذين غلوا في حق أئمة أهل البيت ﷺ حتى أخرجوهم من حدود الخليقة ، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، وشبهوا بعض الأئمة بالألهة [٢٨].

وقال أبو محمد النوبختي: ومن الكيسانية والعباسية والحارثية تفرقت فرقة الخرمدينية، ومنهم كان بدء الغلو حتى قالوا: إن الأئمة آلهة ، وإنهم أنبياء، وإنهم رسل، وإنهم ملائكة، وقالوا بالتناسخ في الأرواح، وأبطلوا القيامة، وقالوا بعدم وجود حياة بعد الموت، ولا قيامة بعد خروج الروح من البدن ودخولها في بدن آخر ـ وهذا ما يسمى بـ (التناسخ) ـ وأبطلوا البعث والحساب، كل ذلك ادعوه انتحالاً على أهل البيت ﷺ [٢٩].

وقال الشهرستاني أيضاً [٣٠] : وبدع الغلاة محصورة في: التشبيه والتناسخ، والتأليه، ولهم ألقابٌ كثيرة بكل بلد لقب، فيقال لهم بأصبهان: الخرمية والكوذية، وبالري: المزدكية والسنباذية، وبأذربيجان: الدقولية، وهم أحد عشر صنفا، وتفرقوا إلى أربع وعشرين فرقة أو أكثر، ومنهم :

١ـ المنصورية :

وهم أصحاب أبي منصور الذي ادعى بأن الله عز وجل عرج به إليه فأدناه منه وكلمه ومسح

يده على رأسه، وكان أبو منصور العجلي من أهل الكوفة من عبد القي، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب فادعى بعد وفاة أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين عليه السلام أنه فوض إليه أمره وجعله وصيَه من بعده، ثم ترقى به الأمر إلى أن قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام نبياً ورسولاً، وكذا الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي، وأنا نبي ورسول، والنبوة في ستة من ولدي يكونون بعدي أنبياء آخرهم القائم، وكان يأمر بخنق من خالفه وقتله، وقال: من خالفنا فهو كافر مشرك [٣١].

وقال الشهرستاني : زعم أبو منصور أن عليا عليه السلام هو الكسف، أي: قطعة سقطت من السماء[٣٢].

٢ـ الخطابية :

قال الشهرستاني: الخطابية هم أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فلما وقف الإمام الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه، وأمر أصحابه بالبراءة منه أيضاً، فلما اعتزل أبو الخطاب عن الإمام الصادق عليه السلام حينئذ ادعى الإمامة لنفسه، وزعم أن جعفراً هو الإله في زمانه، ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله، وافترقت الخطابية بعد أبي الخطاب إلى عدة فرق، فزعمت فرقة أن الإمام بعد أبي الخطاب هو رجل يقال له (معمر) استحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات، ودانوا أيضاً بترك الصلاة، ثم سُميت هذه الفرقة بـ (المعمرية). وزعمت طائفة أخرى منهم أن الإمام بعد أبي الخطاب هو (بزيغ)، فسميت بـ (البزيغية)، ومنهم من زعم أن الإمام بعد أبي الخطاب هو عمير بن بيان العجلي، وقد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة أجتمعوا فيها على عبادة الإمام الصادق عليه السلام [٣٣].

٣ـ الجيالية :

قال الشهرستاني: الجيالية هم أتباع أحمد بن الكيال ، وكان من دعاة الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي تبرأ منه، ولما عرف الناس بدعته تبرؤا منه ولعنوه ، وادعى الإمامة لنفسه ، ثم ادعى أنه القائم، وقتله أحد الذين انتموا إليه [٣٤].

٤ـ المغيرية :

قال الشهرستاني: هم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي، ادعى أن الإمامة بعد محمد بن علي

بـن الحسـين تكـون في محمـد النفـس الزكيـة بـن عبـد الله بـن الحسـن، وزعـم أنـه حـي لم يمـت ، ثـم ادعـى الإمامـة لنفسـه بعـد الإمـام محمـد، وبعـد ذلـك ادعـى النبـوة لنفسـه، واسـتحل المحـارم ، وغـلا كثيراً في حـق أمـير المؤمنـين الإمـام عـلي ﷺ (٣٥).

لقـد ظهـرت كل هـذه الفـرق الضالـة في زمـن الإمامـين الباقـر والصـادق ﷺ، ومـن مظاهـر خطرهـا عـلى دعـوة الإمامـين ﷺ أن تلـك الفـرق كانـت تنتحـل صفتهـا، إمـا أنهـا تدعـي النيابـة عـن الإمـام أو التكليـف أو الروايـة، وكان الإمـام الصـادق والإمـام الباقـر ﷺ مثـالاً رائعـا في التصـدي لتلـك الفـرق وتبرئـة منهـج أهـل البيـت ﷺ مـما كانـوا يدعـون بـه، وذلـك مـن خـلال الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر بالحكمـة والموعظـة الحسـنة، وهـذا مـا سـنتناوله في المطلـب الآتي.

المطلب الثالث ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عـزم الإمـام الباقـر ﷺ إلى اختيـار نخبـة اعتمـد عليهـا في الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر في حـدود تطبيـق قولـه تعـالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣٦).

ومـن خـلال تلـك النخبـة كان الإمـام الباقـر ﷺ يعـرب عن دعوتـه لبيان منهجـه في بيان الإسـلام من ناحيـة، والتبرئـة مـن تلـك المجاميـع الضالة التـي كانت تنتحل صفتـه والانتماء إلى مدرسـته، فقال ﷺ (إن الأمـر بالمعـروف والنهـي عن المنكر سـبيل الأنبيـاء ومنهاج الصالحين، وفريضة عظيمة بها تُقـام الفرائض وتأمـن المذاهـب .. وتـرد المظالم وتعمـر الأرض، وينتصف بها من الأعـداء) (٣٧).

وفي كثـير مـن الحـالات كان الإمـام ﷺ يترفـع عـن الـرد المبـاشر عـلى كثـير مـن الغـلاة، وذلـك لمعرفتـه بأنهـم يريـدون إشـغاله عـن هدفـه في بنـاء جماعتـه ومراقبتهـم مـن حيـث تطبيـق الإسـلام بصورتـه الروحيـة الخالصـة والخاليـة مـن الـدس والتخريـف، وقـد أيـد ثـورة أخيـه الإمـام زيـد بـن عـلي ﷺ فقـال: (إن أخـي زيـد بـن عـلي خـارج فمقتـول عـلى الحـق، فالويـل لمـن خذلـه، والويـل لمـن حاربـه، والويـل لمـن قاتلـه) (٣٨).

كـما أسـس الإمـام الباقـر ﷺ في منظومـة الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر قواعـد الإصـلاح السـلمي الطوعـي الفعـال مـن خـلال مـا رواه عن الرسـول الأكـرم ﷺ إذ قـال: (صنفان مـن أمتي إذا

صلحا صلحت أمتي، وإذا فسدا فسدت أمتي ... الفقهاء والأمراء) [٣٩].

وكان الإمام عليه السلام يرد على تلك الحركات التي اتصفت بالغلو والإنتحال بالبيان والتوضيح والتعليم، فرد مثلاً على حركة المفوضة الذي كان يحذر أحد أصحابه من الوقوع في فتنة جدالهم بقوله: (إياك أن تقول بالتفويض فإن الله عز وجل لم يفوّض الأمر إلى خلقه وهناً وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً) [٤٠].

وكان عليه السلام يحاجج الفقهاء بكل أدب وترو ملتزماً بقواعد المناظرة العلمية وإظهار الدليل، بغية تقويم آرائهم الفقهية وتصويبها، وكان أولئك الفقهاء ينصتون إليه ويطيعونه، وهذا المعنى ذكرهُ الشيخ محمد أبو زهرة ومختصر قوله: كان الإمام الباقر عليه السلام يحاسب الفقهاء، لأنه أعلمهم، وهم يؤمنون بأنه هو الأعلم، بغية حملهم على الجادة، وهم يقبلون طائعين له، ومن أمثلة ذلك عدل أبو حنيفة عن كثير من الأحكام الفقهية التي أسندها الإمام إلى قياس غير معلول [٤١].

وأكد الإمام الباقر عليه السلام كثيراً على الاستدلال بمصادر التشريع الإسلامي الأصلية، وهي القرآن الكريم وصحيح سُنّة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان دورهُ هو نقل ما صح عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من قول وفعل وتقرير، ولهذا أصبحت كل مرويات الإمام في السُنّة الشريفة هي موضع اطمئنان وثقة عند جميع المسلمين، فكان كثيراً ما يقول (فلا تجد علما صحيحاً إلا وهو خرج من عندنا) [٤٢].

هذا ما تيسر عرضه في هذا البحث القصير عن هذا الإمام الجليل القدر الذي كان له الدور الأساس في حماية الإسلام وبناء المجتمع الإسلامي، فسلام عليه يوم ولد ويوم كان حياً ويوم يُبعث حيا، والله تعالى من وراء القصد.

الخاتمة

من خلال ما قدمناه في هذا البحث ظهر لنا عدة نتائج يمكن إدراجها في النقاط الآتية:

١ـ اتفق جميع علماء الإسلام في جميع المذاهب الإسلامية أن الإمام محمد الباقر ﷺ هو من أعلم علماء عصره، واتصف بالفضل والأدب ورصانة الحجة، وقد راجعتُ معظم مصادر المسلمين المعتبرة كالتي اعتمدتُها في هذا البحث فوجدتها تثبت ذلك، وهذا يوازي ما ذكره علماء الشيعة الإمامية بأن الله تعالى عصمهُ من الخطأ والزلل والانحراف.

٢ـ تعرض الإمام ﷺ لحملة منظمة من التشويه من قبل فرق غالية، تمكنت دس كثيراً من الافتراءات التي أضاعت بعض تراث الإمام بين ركام واسع من الروايات الموضوعة والمنتحلة على شخص الإمام، واللافت للنظر أن زعماء تلك الفرق الغالية هم يدعون أنهم من أتباع الإمام والإمام منهم براء، مما يجلب الشك أن للإمام أعداءً تمكنوا من محاربته فكرياً بصورة منظمة ومدروسة.

٣ـ استطاع الإمام الباقر ﷺ بناء أصحابه الذين كانوا سنداً له في دعوته ضد معارضيه، وكان له ولهم الدور الفعال في تنزيه العقيدة الإسلامية من الإنحراف والتشويه والغلو، وتجريدها من الخرافات والأساطير التي لا تمت لفكر الإمام ﷺ من ناحية، وتعدّ ضد الثوابت الإسلامية من ناحية أخرى.

٤ـ ظهر لنا بجلاء أن الإمام الباقر وأئمة أهل البيت ﷺ هم أكثر الناس التزاماً بمصادر التشريع الأساسية كتاب الله تعالى والسُنّة الشريفة.

الهوامش

١-لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (تـ ٧١١هـ) ٤/ ٧٣ دار صادر، بيروت، يطلب من المكتبة الوقفية الألكترونية.

٢-تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (تـ ٧٤٨هـ) ١/ ١٢٤ الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت (د ـ ت)

٣-البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (تـ٧٤٤هـ) ٩/ ٣٣٩ نشر: دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٧م

٤-البداية والنهاية ٥/ ٣١٠ . تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (تـ٨٥٢هـ) ٢/ ١١٤ تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة للطباعة والتوزيع، يطلب من المكتبة الوقفية الألكترونية . تاريخ الإسلام: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (تـ٧٤٨هـ) ٧/ ٤٣٦ . تاريخ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب أبن واضح

٥-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (تـ ٦٨١هـ) ٤/ ١٧٤

٦-انظر: تهذيب التهذيب: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (تـ ٨٥٢هـ) ٧/ ٢٦٧الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٤م

٧-انظر: سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (تـ٧٤٨هـ) ٤/ ٣٩٩ الطبعة التاسعة، تحقيق: مأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م

٨-مسائل الناصريات: محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالشريف المرتضى (تـ٤٣٦هـ) ص٦٤ تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية، مؤسسة الهدى ١٩٩٧م.

٩-انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (تـ١٢٧٠هـ) ٢٤/ ١٢٢ الطبعة الأولى، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ. تاريخ الإسلام : الذهبي ٨/ ١٠٦

١٠-لباب الأنساب والألقاب والأعقاب: أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد البيهقي المعروف بابن فندمة (تـ٥٦٥هـ) ١/ ٢٦ يطلب من المكتبة الألكترونية الشاملة.

١١- انظر: تهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٩

١٢-انظر: تاريخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب (تـ٨٩٧هـ) ٢/ ٣٢١ مطبعة الغري، النجف ١٩٤٠م

١٣-تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله عساكر الدمشقي (تـ٤٩٩هـ) ٤٩/ ١ تحقيق: علي شيري، دار.

١٤-انظر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣١٢ . الوافي بالوفيات: أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (تـ٦٩٦هـ) ٤/ ٧٧ تحقيق: أحمد الأرناوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م. حلية الأولياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (تـ٤٣٠هـ) ٣/ ١٨٦ الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية:، بيروت ١٩٨٨م .

١٥- انظر: مصباح الكفعمي: تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن العاملي الكفعمي (تـ ٩٠٥ أو ٦٠٠هـ) ص٦٩١ مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع (د.ت)

١٦- انظر: دلائل الإمامة: محمد بن جرير بن رستم الطبري (تـ٤١١هـ) ص٢١٦ منشورات المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٤٩م

١٧- انظر: فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي (تـ ٣١١هـ) وقد اختلفوا في تاريخ وفاته، ولكنه هو من علماء الشيعة ومن اعلام القرن الثالث الهجري ص٦١ تحقيق: محمد كاظم الموسوي يطلب من شبكة الفكر الالكترونية.

١٨- أنظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٨٩ . أنظر: علل الشرايع: أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (تـ ٣٨١هـ) ١/ ٢٣٣ طبعة الداوري، قم ١٩٦٦م .

١٩- مبادئ الفلسفة: ديكارت ص١٢ ترجمة: الدكتور عثمان أمين، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٠م . الفلسفة ببساطة: برندان ولسون ص٩ ترجمة: آصف ناصر، الطبعة الثانية، دار الساقي، بيروت ٢٠١٠م .

٢٠- انظر: جواهر التاريخ: الشيخ علي الكوراني ٥/ ٤٨ . سيرة الأئمة الأثني عشر: هاشم معروف الحسني ٢/ ١٩٤

٢١- انظر: الإرشاد: المفيد ٢/ ١٥٧

٢٢- انظر: المصدر نفسه ٢/ ١٦٣

٢٣- انظر: اختيار معرفة الرجال: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (تـ٤٦٠هـ) ٢/ ٥٠٧ تصحيح وتعليق: مير داماد الاسترابادي، تحقيق: مهدي رجائي، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، مطبعة بعثت، قم ١٤٠٤ش.

٢٤- رجال النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (تـ ٦٣٠هـ) ص١٧٥ الرقم ٤٦٣ شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠١٠م ومن الجدير بالذكر أن اسم زرارة هو عبد ربه، ولكن اشتهر بهذا اللقب (زرارة) ومعنى زراره ولد زرير أي: عاقل .أنظر: اختيار معرفة الرجال: الطوسي ١/ ٣٤٥ و٣٤٦ و٣٤٨

٢٥- رجال النجاشي: ص ١٠ ـ ١٢ الرقم ٧ . انظر: اختيار معرفة الرجال: الطوسي ٢/ ٦٢٢

٢٦- رجال النجاشي ص٣٢٤ الرقم ٨٨٢ . انظر: اختيار معرفة الرجال: الطوسي ١/ ٣٨٣

٢٧- انظر: اختيار معرفة الرجال: الطوسي ١/ ٣٨٣ وما بعدها

٢٨- انظر: الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (تـ ٥٤٨هـ) ١/ ١٥٥ تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت سنة النشر ١٩٧٥م.

٢٩- انظر: فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي (تـ ٣١١هـ) وقد اختلفوا في تاريخ وفاته، ولكنه من علماء الشيعة ومن أعلام القرن الثالث الهجري ص٣٦ تحقيق: محمد كاظم الموسوي يطلب من شبكة الفكر الألكترونية.

٣٠- انظر: الملل والنحل ١/ ١٥٨

٣١- انظر: المصدر نفسه ١/ ١٥٩ . الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن

عبد الله البغدادي الإسفراييني المعروف بأبي منصور (تـ ٤٢٩هـ) ص٢٦١ وما بعدها، نشر: دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٧م.

٣٢- انظر: الملل والنحل ١/ ١٥٩

٣٣- انظر: المصدر نفسه ١/ ١٥٩

٣٤- انظر: المصدر نفسه ١/ ١٦٠ . الفرق بين الفرق ص٢٥٣ وما بعدها

٣٥- انظر: المصدر نفسه ١/ ١٦٠ .

٣٦- سورة النحل: الآية ١٢٥

٣٧- الملل والنحل ١/ ١٧٦ . انظر: فرق الشيعة ص٧٥ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (تـ ٦٤٨هـ) في ترجمة (المغيرة بن سعيد العجلي) تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٣م. وقال محيي الدين عبد الحميد عبد الحميد محقق كتاب (الفرق بين الفرق) على هامش ص٢٣٨ ـ ٢٣٩ (محمد هذا هو المعروف بالنفس الزكية، وقد كانت وفاته في سنة ١٤٥هـ ولهذا تقرر أنه لا يتم إدعاء أن المغيرة بن سعيد العجلي الذي قدّمناه أنه مات محروقاً على يد خالد بن عبد الله القسري في سنة ١١٩هـ وكان يدعو لمحمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية، والراجح أن المغيرة بن سعيد ما كان يدعو ولا ينتسب لأحد بعينه من العلويين، وإنما كان يدعو إلى المهدي المنتظر ... وكان يضمر الكفر ... ألخ)

٣٨- انظر: الفرق بين الفرق ص٢٦٣ وما بعدها.

٣٩- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة: محمد بن الحسن المعروف بالطوسي ٦/ ١٨ الطبعة الرابعة، دار الكتب الإسلامية، قم (بـ ـ تـ)

٤٠- مقتل الحسين عليه السلام: أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي (تـ ٥٦٨هـ) ٢/ ١١٣ تحقيق: محمد السماوي، تصحيح: دار أنوار الهدى، يطلب من مكتبة مدرسة الفقاهة الكترونية . انظر: الأصول الكافي: ثقة الإسلام أبو جعفر بن يعقوب الكليني الرازي (تـ ٣٢٩هـ) ٥/ ١٠٧ نشر مكتبة الصدوق، طهران، يُطلب من شبكة الفكر الكترونية.

٤١- انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد والمذاهب الفقهية: محمد أبو زهرة ص٣٦١ دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٩م . الخصال: محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق (تـ ٣٨١هـ) ١/ ٣٦٠ تحقيق: أكبر الغفاري، المكتبة الإسلامية، طهران ١٣٤٨هـ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت١١١٠هـ) أو (تـ١١١١هـ) ٧٩/ ١٣٢ باب (ثوب الاسترجاع) الطبعة الثانية المصححة، تحقيق: محمد باقر بهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣م

٤٢- أصول الكافي: محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (تـ٣٢٩هـ) ١/ ٣٩٩ الطبعة الخامسة، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٣ش.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم
* أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (تـ ٧٤٨هـ) الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت (د ـ ت)
* اختيار معرفة الرجال: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٩هـ) تصحيح وتعليق: مير داماد الاستربادي، تحقيق: مهدي رجائي، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، مطبعة بعثت، قم ١٤٠٤ش.
* الإرشاد: محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) الطبعة الثانية، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٣م
* أصول الكافي: محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (ت٣٢٩هـ) الطبعة الخامسة، تحقيق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٣ش.
* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت١١١٠هـ) أو (ت١١١١هـ) الطبعة الثانية المصححة، تحقيق: محمد باقر بهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣م
* البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت٧٤٤هـ) نشر: دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٧م
* تاريخ الإسلام: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (تـ ٧٤٨هـ) .
* تاريخ مدينة دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله عساكر الدمشقي (ت٤٩٩هـ) تحقيق: علي شيري، دار(د ـ ت)
* تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد والمذاهب الفقهية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة ٢٠٠٩م
* تاريخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب (ت٨٩٧هـ) مطبعة الغري، النجف ١٩٤٠م
* تقريب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عوامة، نشر: دار الرشيد سوريا ـ حلب ١٤٠٦هـ كما يطلب من المكتبة الوقفية الألكترونية.
* تهذيب الأحكام في شرح المقنعة: محمد بن الحسن المعروف بالطوسي، الطبعة الرابعة، دار الكتب الإسلامية، قم (بـ ـ تـ)
* تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، تحقيق: حسن الموسوي، دار الفكر للطباعة والتوزيع، لبنان ١٩٨٤م
* جواهر التاريخ: الشيخ علي الكوراني العاملي، يطلب من المكتبة الشيعية الألكترونية
* حلية الأولياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية:، بيروت ١٩٨٨م .
* الخصال: محمد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق (تـ ٣٨١هـ) تحقيق: أكبر الغفاري، المكتبة الإسلامية، طهران ١٣٤٨هـ .
* دلائل الإمامة: محمد بن جرير بن رستم الطبري (ت٤١١هـ) منشورات المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٤٩م
* رجال النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (تـ ٦٣٠هـ) شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ٢٠١٠م
* روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ) الطبعة الأولى، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ.
* سير أعلام النبلاء: ابو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (تـ ٧٤٨هـ) الطبعة التاسعة، تحقيق: مأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣م

* سيرة الأئمة الأثني عشر: هاشم معروف الحسني، دار المؤرخ العربي، بيروت، يطلب من شبكة الفكر الألكترونية.
* علل الشرايع: أبو جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) طبعة الداوري، قم ١٩٦٦م
* علل الشرائع: أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) الطبعة الأولى، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٩٦٦م
* الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي الإسفراييني المعروف بأبي منصور (ت ٤٢٩هـ) نشر: دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٧م.
* فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي (ت ٣١١هـ) وقد اختلفوا في تاريخ وفاته، ولكنه من علماء الشيعة ومن أعلام القرن الثالث الهجري تحقيق: محمد كاظم الموسوي يطلب من شبكة الفكر الألكترونية.
* الفلسفة ببساطة: برندان ولسون ترجمة: آصف ناصر، الطبعة الثانية، دار الساقي، بيروت ٢٠١٠م .
* لباب الأنساب والألقاب والأعقاب: أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد البيهقي المعروف بابن فندمة (ت٥٦٥هـ) يطلب من المكتبة الألكترونية الشاملة.
* لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، يطلب من المكتبة الوقفية الألكترونية.
* مبادئ الفلسفة: ديكارت، ترجمة: الدكتور عثمان أمين، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٠م .
* مسائل الناصريات: محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ) تحقيق: مركز البحوث والدراسات العلمية، مؤسسة الهدى ١٩٩٧م.
* مصباح الكفعمي: تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن العاملي الكفعمي (ت ٩٠٥ أو ٦٠٠هـ) مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (د ـ ت)
* مقتل الحسين عليه السلام: أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) تحقيق: محمد السماوي، تصحيح: دار أنوار الهدى، يطلب من مكتبة مدرسة الفقاهة الكترونية .
* الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت سنة النشر ١٩٧٥م
* ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٦٤٨هـ) في ترجمة (المغيرة بن سعيد العجلي) تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٣م.
* ميزان الإعتدال في نقد الرجال: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) الطبعة الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، يطلب من المكتبة الشاملة الحديثة الألكترونية
* الوافي بالوفيات: أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٦٩٦هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م.
* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر، بيروت، يطلب من المكتبة الشاملة الحديثة الألكترونية

مظاهر الانحراف الأخلاقي في عصر الإمام الباقر عليه السلام ودوره في مواجهتها

أ.م.د. حسين جليل علوان

جامعة القادسية / كلية التربية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنام أبي القاسم محمد النبي الأمين، وعلى آله الهداة المهديين الطيبين الطاهرين، وأصحابه الأخيار الأبرار.

ليس خافيا على أحد ما اتسمت به الدولة الأموية من ظلم وجور على آل بيت النبي (صلوات الله عليهم أجمعين) ، بلغت ذروته عند قتل الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء الأليمة، وما حصل فيها من مآسٍ لا ينساها التأريخ.

وقد اتسم هذا العصر بسمات كثيرة على المستويات كافة ، فعلى المستوى الأخلاقي انتشر الفسق والفجور في هذا العصر والابتعاد عن قيم الدين الصحيح التي أرسى قواعدها النبي الأكرم (عليه أفضل الصلاة والسلام) ، مما جعل أبناء الرسالة يسعون سعيا حثيثا لإصلاح الواقع المتردي، فقد وصل بهم الأمر الى أن يقدموا أرواحهم في سبيل الإصلاح، وما قول الحسين عليه السلام: (لم أخرج أشرا ولا بطرا وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله)[1] إلا دليل على ذلك.

ولمّا كان الإمام الباقر عليه السلام يمثل امتدادا لحركة الإصلاح النبوي، العلوي، الحسيني ولِمَا شاع في عصره من مظاهر الانحراف الفكري والساسي والأخلاقي والاقتصادي، فقد تصدى عليه السلام لهذه المظاهر بكل قوة وتضحية، واستطاع أن يقف بوجه كلِّ من يسعى بالأمة الإسلامية إلى الانحدار والانحراف.

ومن هنا كان هذا البحث يسلط الضوء على (مظاهر الانحراف في عصر الإمام الباقر عليه السلام ودوره في مواجهتها)

وقد اقتضت منهجيته أن نبدأ بتمهيد يتعرض لعصر الإمام الباقر بإشارات موجزة، ثم نأتي بمبحثين : يختص الأول منهما : بالجانب الأخلاقي على مستوى الفرد، ويركز ثانيهما على مستوى المجتمع، ثم نخلص إلى خاتمة فيها أبرز المسائل التي شاعت في طريقة الإمام عليه السلام في الرد على مظاهر الانحراف الأخلاقي.

وختاما أرجو أن أوفق في سعيي ولو بنزر يسير، والله ولي التوفيق

التمهيد

عصر الإمام الباقر عليه السلام

لا يخفى على أحد أن أهل الرأي قسموا العقل على قسمين: عقل نظري، متمثل بالعلوم الالهية والرياضية والطبيعية، وعقل عملي يتمثل بالأخلاق على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، فالعقل العملي يُعد غاية العقل النظري، والأخير يُعد تمهيدا للعقل العملي.

هذا ما حكم به أهل العقل، أما من طريق النقل فقول النبي الأكرم صلوات الله عليه وسلامه: ((إنما بُعثتُ لأتمّمَ مكارم الأخلاق)[٢] فيه غنى عن كل شاهد.

فالأخلاق تُعد معيارا مهما من معايير استمرار الأمم، وفنائها، ولعل ما قاله الشاعر أحمد شوقي يُعد مصداقا لذلك:

إنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولمّا كان الزمن الذي عاش فيه الإمام الباقر[٣] عليه السلام، هو عصر الدولة الأموية، إذ عاصر خمسة من خلفائها، وما مرَّ على الناس من أحوال وتقلبات في تلك المدة التي بدأت بالانهيار نتيجة لسياسات الخلفاء غير الكفوءة في كل المجالات، فقد ((عاش الإمام الباقر عليه السلام طيلة حياته في المدينة يفيض من علمه على الأمة المسلمة، ويرعى شؤون الجماعة الصالحة التي بذر بذرتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وربّاها الإمام علي ثم الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام، كما غذّاها من بعدهم أبوه علي بن الحسين عليه السلام مقدما لها كل مقومات تكاملها وأسباب رشدها وسموها))[٤].

وإذا نظرنا في بعض صفحات هذه المدة التي عاش فيها الإمام الباقر عليه السلام، نجد أنها قد امتلأت بالحوادث والتغيرات في عموم المتجمع، إذ بدأت في عهد الوليد بن عبد الملك وكانت تتسم بالتوسع والاستقرار، غير أنها تحولت في عهد سليمان بن عبد الملك إلى حكومة انتقام وتصفيات، وفي زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز كانت حكومة إصلاحات واسترداد الحقوق من بني أمية رغم مدته القصيرة، وعاد التدهور والانحراف الأخلاقي في زمن يزيد بن عبد الملك الذي انشغل بجاريتين أحبهما وازدادت الخلاعة والمجون في عهده، وفي عهد هشام بن عبد الملك خطت الدولة الأموية خطوة نحو الانهيار والسقوط[٥].

وقد ((أجمع المؤرخون والمختصون على أن الحكام الأمويين هم الذين أدخلوا الخلاعة، والمجون، والفجور، وشرب الخمر وممارسة المحرمات الشاذة إلى مؤسسة الخلافة حتى أصبحت دار الخلافة مركزا للهو والعبث والفساد ففقدت هيبتها الروحية ومكانتها في النفوس))[٦]، وقد أدى هذا إلى توجّه الدولة الأموية نحو الانهيار نتيجة الفورة المتأججة في نفوس المجتمع آنذاك : ((فالمسؤول الأول في حوادث سقوط الدولة الأموية هو ذلك الالتهاب النفسي في الجيل الذي عاصر هذه الحوادث ولعب دوره فيها... فقد رأينا أن الرجال فيها هم من المغامرين الذين يستفيدون من الفرص، فيلعبون دورهم فيها كيفما اتفق، والفرص كانت مواتية لهم، فقد انتهى الحكم الأموي إلى وضع متدهور يخول المغامرين والانتهازيين أن يضربوا بسهمهم الطائش فيه)).[٧]

في ظل هذه الظروف عاش أئمة أهل البيت، ومنهم الباقر عليه السلام، فواجه الانحرافات المتنوعة، ومنها الأخلاقية التي ستكون موضوع دراستنا في الصفحات التالية على مستوى الفرد والمجتمع.

مدخل الانحراف الأخلاقي على مستوى الفرد والجماعة

الانحراف هو الميل[٨]، فإذا مال الإنسان عن الشيء، قيل انحرف عنه[٩]، وفي الاصطلاح هو : ((هو فكر وسلوك خارج الطريق السليم، له تأثير سلبي على المجتمع يدل على التخلف والانحطاط، يوجب عقوبة صارمة؛ لأنه خالف القوانين والقيم الصحيحة))[١٠] .

وحينما نتعرض لموضوع الانحراف لا يمكن لنا أن نعزل الانحرافات عزلا كاملا، فهي ترتبط ببعضها ارتباطا مباشرا وغير مباشر، فالانحراف الأخلاقي على مستوى الفرد نراه ينطبق على الجماعة كونه جزءا منهم، وهذا يتعلق بالانحراف الاقتصادي، والأخير له علاقة بالتدهور السياسي وهكذا.

وعلى الرغم من انشغال الدولة الأموية آنذاك بالفتن وانقسام الناس إلى فئات، وبروز حركة العمران والاختلاط مع المجتمعات الأخرى، فقد كان الإمام الباقر عليه السلام من أعلام المربين والموجهين، الذين ظهرت توجيهاتهم في الجانب التربوي والأخلاقي، وأثرت عنهم في هذا المجال مجموعة ضخمة من الروايات والأقوال، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى استغلاله تفسير آيات القرآن الكريم ليستنبط منها الجوانب التربوية والأخلاقية التي تعالج آفات المجتمع[١١] ، فقد كان عليه السلام دائم التوجيه والإرشاد لعموم المجتمع، إذ: ((لم يغفل التوجيه والتنبيه بالحث على استقامة الخلق والسلوك، وعلى

التوكل على الله وحسن الظن به، وعلى ترك الإساءة للآخرين باغتيابهم، أو التكبر والغطرسة عليهم، أو مباهاتهم بالحسب والنسب بعيدا عن قواعد الأدب ومكارم الصفات، كما حثَّ أيضا على غض النظر عما يمكن الغض عنه من سوء التصرفات، وعلى التغافل عما يصدر من هذا وذاك من بعض الزلات والهفوات؛ حفظا لمتانة الروابط الاجتماعية، وتدعيما لسلامة العلاقات العامة بين الأفراد، وتوثيقا للتعاون الشامل القائم على المحبة والصفاء))[١٢]

ومن هنا ستكون هذه الصفات وغيرها موضوعا لهذه الدراسة، إذ إنها شاعت في ذلك العصر، من خلال بيان دور الإمام ﷺ بالتصدي لها وكيفية توجيهه ﷺ للأفراد والمجتمعات بشأن سلوكهم الخاطئ، وكيفية معاملاتهم الصحيحة لما تشكله عليهم من مخاطر في الدنيا والآخرة.

وسيختص كل مطلب بصفة معينة، وهي على النحو الآتي:

المطلب الأول: الجفاء

ذهب ابن فارس إلى أن الجفاء هو نبو الشيء عن الشيء، وهو أيضا خلاف البر[١٣]، ((والجفاء بالفتح الغلظ في العشرة والخُرق في المعاملة وترك الرفق في الأمور))[١٤]، وأشار ملا علي القاري إلى تعريف للجفاء بقوله: ((... والسوء في الخلق من الجفاء، وهو خلاف البر الصادر منه الوفاء، والجفاء أي أهله التاركون للوفاء الثابتون على غلاظة الطبع وقساوة القلب))[١٥]، فهو يرى أن سوءَ الأخلاق وترك عمل البر، وتركَ الوفاء من الجفاء.

والجفاء من الصفات الذميمة التي لا ينبغي لأحد أن يتصف بها، وفي هذا الشأن قد قال الحسن بن كثير : ((شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي ﷺ الحاجةَ، وجفاء الإخوان، فقال: بئس الأخُ، أخٌ يرعاك غنيا ويقطعك فقيرا، ثم أمر غلامه فأخرج كيسا فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه فإذا نفذت فأعلمني))[١٦]، ففي حديثه ﷺ ذمٌّ للجفاء وترك الإخوان حينما أدبرت الدنيا عنهم، ومرت بهم ظروف قاسية، بعد أن كانوا ملجأ يوم كانت الدنيا مقبلة عليهم، ولم يكتفِ ﷺ بذلك بل أمر للمشتكي بخلعة، وقد كان حريصا أن لا يريق ماء وجه من يعطيه، بل نجده ﷺ ينكر لمن يعطيهم العطايا أنها منه، وهو أمر لا يتسع إلا للصفوة من أولياء الله الذين هانت الدنيا عندهم فلم يهتموا بمغرياتها، فقد روي عن عمر بن ينار وعبيد الله بن عبيد بن عمير أنهما قالا: ((ما لقينا أبا جعفر محمد بن علي ﷺ

إلا وحمل إلينا النفقة والصلة، الكسوة ويقول: هذا معدَّة لكم قبل أن تلقوني))[١٧]، وفي هذا الحديث والذي سبقه تلمع القيم الأخلاقية والإنسانية التي يريد الإمام عليه السلام إيصالها إلى الناس، ليستقيموا على طريق الحق القويم، فلا ينبغي على من يمد يد العون لأخيه المسلم أن يريق ماء وجهه، ويتفاخر عليه.

وليس هذا فحسب بل أنَّ المتبادر من أقوال الإمام أهمية الابتعاد عن جفاء الإخوان، والاهتمام بمساعدتهم فإن ذلك مما يرضي الله سبحانه وتعالى، وفي ذلك يقول الباقر عليه السلام: ((ليس في الدنيا شيء أعون من الإحسان إلى الإخوان))[١٨]، فالجفاء مذموم والإحسان مرغوب عند الله ورسوله وأوليائه وهو مما يطلب من المؤمنين أن يصلوا إخوانهم، ويبتعدوا عن مجافاتهم، فقد روي عنه عن أبيه عن الرسول صلوات الله عليهم أجمعين: أنه قال: إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصله حلَّ بها البلاء، ومن هذه الخصال جفاء الإخوان[١٩].

وليس المقصود –فيما يبدو– بالإخوان من النسب فقط، بل يمتد الأمر إلى الإخوان في الدين، وفي هذا المورد نجد الإمام الباقر عليه السلام يراعي كل متطلبات التعامل الأخلاقي مع الناس، وهو إذ يسلط الضوء على هكذا خصال فإنه بكل تأكيد يسعى إلى تغييرها في نفوس الناس بعد أن رآها انتشرت في المجتمع، وعن هذا الأمر ينقل الجاحظ (ت٢٥٥هـ): ((وكان محمد بن علي –يريد الباقر عليه السلام– إذا رأى مبتلًى أخفى الاستعاذة ، وكان لا يُسمع في داره: يا سائلُ بورك فيك، ولا يا سائلُ خذ هذا، وكان يقول : سمّوهم بأحسن أسمائهم))[٢٠]، فأيُّ خلق رفيع يتحلى به أمامنا عليه السلام حتى في أبسط المسائل كإخفاء الاستعاذة حينما يرى إنسانا قد ابتلاه الله ببلية، في وقت كانت تشيع فيه الأخلاق المبتذلة المتمثلة بالاستهزاء والسخرية من المبتَلين والسائلين، ومحاولة التقليل من شأنهم.

ولما كان الجفاء يعني سوء الخلق وترك العمل الحسن ، فقد حثَّ الإمامُ عليه السلام الناسَ على الابتعاد عن الأخلاق السيئة، وعمل الخير والإحسان إلى الناس فإن في عمل الخير و مواصلته تغرس المودة في القلوب، وهو من الأسباب الوثيقة التي تؤدي إلى تماسك المجتمع الذي يفضي إلى أمة إسلامية قوية متماسكة.

وفي هذا الشأن نجد الباقر عليه السلام لا ينتقد المساوئ فقط ويدعو إلى تركها، بل نراه يطيل التبجيل للمحاسن وعمل المعروف ليقبل عليها الناس مبينا أهميتها عند الله ورسوله ، فيقول عليه السلام: ((إنَّ الله جعل للمعروف أهلا من خلقه، حببَ إليهم المعروفَ، وحببَ إليهم فعالَه، ووجه لطلاب المعروف

الطلبَ إليهم، ويسّرَ إليهم قضاءه كما يسّر الغيثَ للأرض المجدبة ليحييها ويحيي أهلها))[٢١]، وهنا تبدو عملية البناء الأخلاقي الرفيع للمجتمع الإسلامي على يد الإمام الباقر ﷺ في أنه يبسط أهمية عمل المعروف بسطا أمام الجميع ويقربها إليهم، ويدعوهم إلى سلوك عمل المعروف والابتعاد عن الجفاء؛ لأنها تقرب العبد من رضاء الخالق عنه.

ولا يقف الأمر عند بيان أهمية المعروف، بل يتعداه إلى إظهار صورة أعداء المعروف وأعداء الصفات الحسنة، فيقول ﷺ: ((... وإنَّ الله جعل للمعروف أعداءً من خلقه، بغّض إليهم المعروف، وبغضَّ إليهم فعاله، وحَظَرَ على طلاب المعروف التوجهَ إليهم، وحظر عليهم قضاءه، كما يحظر الغيث عن الأرض المجدبة ليهلكها، ويهلك أهلها، وما يعفو الله عنه أكثر))[٢٢]، فعمل المعروف كما بينه الإمام ﷺ حياةٌ، والجفاء وترك المعروف هلاك.

فالدعوة إلى عمل المعروف والبر والإحسان تفضي إلى تربية المجتمع تربية صالحة، وترده عن عمل القبائح والمساوئ؛ ليكون الطريق إلى الخير واضحا جليا لا تشوبه شائبة، ولعل النظرة إلى قول الإمام ﷺ تغني عن الحديث، فقد ذكر ﷺ: ((صنايع المعروف تقي مصارع السوء، وكلُّ معروفٍ صدقة، وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة، وأولُ أهل الجنة دخولا إلى الجنة أهل المعروف وإنَّ أول أهل النار دخولا إلى النار هم أهل المنكر)).[٢٣] فهل بعد هذا الحديث حديث، أم بعد هذا الجلاء والوضوح شائبة؟! وهل ادخر الإمام الباقر ﷺ وسعا في توجيه الناس وإرشادهم إلى محاسن الأخلاق وترك مساوئها من أجل النهوض بالواقع الأخلاقي الذي أصابه الانهيار والتردي في العصر الأموي؟!

المطلب الثاني: الغيبة

الغِيبة تعني في اللغة الوقيعة بين الناس[٢٤]، وهي ذكر العيب في ظهر الغيب[٢٥]، وفي الاصطلاح تعني: ((أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه، فإن كان صدقا سمي غيبة، وإن كان كذبا سمي بهتانا))[٢٦].

لقد نهانا الله سبحانه وتعالى نهيا جازما عن الغيبة، فقال:﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[٢٧]، ويظهر من قوله تعالى النهي عن الغيبة والابتعاد عنها تماما، وقد ورد عن الإمام الباقر ﷺ أن

النبي صلوات الله عليه وآله، قال: ((والذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله، ورجائه له، وحسن خُلُقه، والكف عن اغتياب المؤمنين))[٢٨].

ونلاحظ التوجيهات التربوية التي تشع من أحاديثهم صلوات الله عليهم للوصول إلى مجتمع متكامل قادر على النهوض والإبداع، ونلاحظ أيضا كيف قرنَ الحديثُ النبوي الشريف الحصولَ على خير الدنيا والآخرة بحسن الظن بالله والتوكل عليه، وبحسن الخلق، وبالابتعاد عن اغتياب الناس، وليس هذا فحسب فقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الغيبة، وقال: ((من اغتاب امرأً مسلما بطل صومه، ونُقض وضوؤه، وجاء يوم القيامة تفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة، يتأذى بها أهل الموقف، فإن مات قبل أن يتوب مات مستحلا لما حرّم الله عز وجل))[٢٩]، فأي خطورة كبيرة، وأي أثم أكبر يترتب على الغيبة التي تشيع في معظم المجتمعات، ولكن يبدو أنها كانت أكثر شيوعا في العصر الذي عاش فيه الإمام الباقر عليه السلام، فلفت الأنظار إليها وسلط الأضواء عليها ووجه بعدم ارتكابها وذلك من خلال بيان مخاطرها على الفرد والمجتمع.

وقد فرق الإمام عليه السلام بين الغيبة والبهتان : ((أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، فأما الأمر الظاهر منه مثل الحدة والعجلة، فلا بأس أن تقوله، وإنَّ البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه))[٣٠]، فعن الرضا عليه السلام قال، قالَ رسول الله صلى الله عليه وآله : ((من بهت مؤمنا أو مؤمنة، أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قال فيه))[٣١].

ولا تبتعد النميمةُ كثيرا عن الغيبة ، فالنَّمُّ هو : ((رفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل: تزيين الكلام بالكذب... والاسم النَّميمة وأصل هذه المادة يدل على إظهار الشيء وإبرازه))[٣٢] والنميمة في الاصطلاح تعني نقل الحديث من قوم إلى قوم على وجه الإفساد والشّر[٣٣]، وقد نهى القرآن عن النميمة كما نهى عن غيرها من الرذائل التي لا تجلب إلى الناس سوى الفساد والخراب والهلاك في الدنيا والآخرة، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[٣٤]، وليس بدعا من القول أن نذكر مساوئ النميمة وآثارها على الأفراد والمجتمعات، ويكفينا ما ورد في القرآن من النهي عنها، وأما السنة النبوية ففيها مئات المواضع التي تنهى عن هذه الصفة الذميمة.

والذي يعنينا هنا ما ذكره الإمام الباقر ﷺ في ردِّ هذه المساوئ والنهي عنها وبيان خطورتها، وبطبيعة الحال لا يأتي نهي الإمام عنها؛ لأنه ورد في القرآن فحسب ، بل لأنها سادت في المجتمع الذي عاش فيه الإمام، ومن الطبيعي أن يكون دوره واضحا في بيان هذه الصفات وإيضاح مخاطرها على المجتمع.

المطلب الثالث: التكبّر

كثيرة هي موارد الأصل (كبر) في معجمات اللغة، لكن الذي يعنينا هو ما يناسب واقع الحال الذي نحن بصدده، فالكبر هو الإثم ، ومنه يتكبرون ومعناه أنهم يرون أنهم أفضل الخلق، وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم[٣٥]، ولعله في الاصطلاح يشير إلى سمة التفوق والتعالي التي تميز شخصا ما في أقواله وأفعاله بأنه هو دائما على حق، وقريب منه العُجب إذ يعجب الإنسان بنفسه، إذ يراها أكبر من غيره، ويستعظمها، ويستهين بالمقابل بالناس ويستصغرهم.

وهي صفة قبيحة نهى عنها القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى:﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٣٦]، ولم يقتصر الأمر على القرآن الكريم بل ورد ذم الكبر في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، منها قوله صلوات الله عليه وسلامه: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)[٣٧].

ونحن هنا لسنا بصدد استعراض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، إنما لتسليط الضوء على المهمة التي حملها أهل البيت في نشر مكارم الأخلاق والابتعاد عن مساوئها بما يتناسب مع الهدي الإلهي والإرشاد النبوي، ومن هنا تصدى الإمام الباقر ﷺ، لهذه الصفة الذميمة، فقد قال: ((ما دخل قلب امرئ شيء من الكِبر ، إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك ، قل ذلك أو كثر))[٣٨]، وقال أيضا: ((العزُّ رداء الله والكبر إزاره، فمن تناول شيئا منه أكبه الله في جهنم))[٣٩] ((الكِبر رداء الله، والمتكبر ينازع الله رداءه))[٤٠]، ومما قاله الإمام الباقر ﷺ في هذا الموضع أيضا: ((ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه))[٤١].

ويبدو جليا ما لهذه الصفة الأخلاقية السيئة من عواقب كبيرة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا ينازع المتكبرُ اللهَ في صفاته ومزاياه عز وجل، ويسعى إلى مشاركته بها، وهذا تجاوز لحدود إمكانية العبد

واستحقاقه طبيعي أن من يسعى إلى هذا الأمر ستكون نهايته الهلاك والخلود في النار، وقد أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى منزلة المتكبر ومدى الاهتمام به عند الله تعالى فقال: ((إنَّ في السماء ملائكة موكلين بالعباد، فمن تواضع رفعاه، ومن تكبر وضعاه))[٤٢]، ويبدو أنَّ هذه السمة قد شاعت في العصر الأموي ولا سيما عند الأمراء، والوزراء الذين يترفعون عن أتباعهم وجمهورهم، ومن هنا وضع الإمام الباقر عليه السلام نقاط التواضع والتسامح على حروف الخلق الرفيع والإنسانية العالية ، ووسم المتكبر بالخسران في الدنيا والآخرة إذ قال: ((إنّ الكبرياء ينم عن الجهل ونقصان العقل، فإن الإنسان لو عرف مآله وما يصير إليه من مفارقة هذه الحياة، ونسيان ذكره، واستحالة جسمه الذي يزهو به إلى كتلة من التراب المهين، لو أدرك ذلك وتبصر فيه لما تكبر على خلق الله))[٤٣] .

نلحظ مما تقدم أن اهتمام الإمام عليه السلام بهذه المسائل يعطي إشارة واضحة إلى أن المجتمع تسوده هذه الصفات التي تبتعد عن الأخلاق الحسنة، فما يقوله الإمام هو تدريب للنفوس وتهذيب لها لأن تتسامى فوق مساوئ الأخلاق، والركون إلى التواضع الذي يعد سمة من سمات الأولياء والصالحين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربعة لا يعطيهن الله إلا لمن يحبه: الصمت وهو أول العبادة، والتوكل على الله، والتواضع، والزهد في الدنيا))[٤٤].

ومن أنواع التكبر ، التفاخر بالحسب والنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له نسب مثله، فقد ورد بذا الشأن ما لا يحصى من الأحاديث النبوية وأقوال الأئمة التي تنهى عند التفاخر ، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٤٥]، وهل من شيء له قيمة بعد محبة الله، فلو تأمل المتفاخر في هذه الآية الكريمة لكانت صعقة تلهيه عن الدنيا وما فيها، ولم يقف الأمر عند القرآن الكريم بل أكد النبي (صلوات الله عليه وسلامه) على تجنب التفاخر ، فقد قال الباقر عليه السلام : ((صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر يوم فتح مكة، فقال: أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتفاخرها بآبائها، ألا إنكم من آدم وآدم من طين، ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه))[٤٦]، وتواصلا مع ردِّ هذه الصفة السيئة التي تشيع في المجتمع، قال الإمام الباقر عليه السلام لعقبة بن بشير الأسدي حينما ذكر أنه في الحسب الضخم من قومه: ((ما تمن علينا بحسبك! إن الله رفع بالإيمان مَن كان الناس يسمونه وضيعا

إذا كان مؤمنا، ووضع بالكفر مَن كان الناس يسمونه شريفا إذا كان كافرا، فليس لأحد فضل على أحد إلا بالتقوى))[٤٧].

ولا يقتصر أثر التكبر على الناس بل ينعكس على المتكبر نفسه، فهو يرى نفسه كاملا، مما يجعله ممتلئاً بالعيوب والنواقص دون أن يراها، وتبدو الآثار التربوية للإمام الباقر ﷺ في أحاديثه وتوجيهاته للناس لا تقتصر على فئة بعينها، بل تتوجه نحو الجميع لإنقاذهم من الغفلة والندم بعد حين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المطلب الرابع: الرياء

اتفقت كتب اللغة والاصطلاح على أنَّ الرياء هو: ((مَا كَانَ ظَاهِرًا مِنَ العَمَل، والشهوةُ الخفيةُ حُبُّ اطلاعِ الناسِ عَلَى الْعَمَلِ))[٤٨]، أو هو: ((إظهار العمل للناس، ليروه، ويظنوا به خيرا))[٤٩]، وقد فرّق أبو هلال العسكري بين الرياء والنفاق فقال: ((إن النفاق هو إظهار الإيمان وإسرار الكفر... والرياء إِظْهَار جميل الْفِعْل رَغْبَة فِي حمد النَّاس لَا فِي ثَوَاب الله تَعَالَى فَلَيْسَ الرِّيَاء من النِّفَاق فِي شَيْء فَإِن اسْتعْمل أَحدهمَا فِي مَوضِع الآخر فعلى التَّشَبُّه))[٥٠].

وهناك مَن يرى أنهما مترادفتان، وعلى كل حال فإنهما صفتان غيرُ محمودتين؛ يراد بهما نيل المكانة في قلوب الناس، ولا يراد بهما مرضاة الله تعالى، وعلى هذا فقد ورد ذم الرياء في القرآن والسنة والآثار، ففي القرآن قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ*الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾[٥١]، وفي الحديث النبوي قرن النبيُّ الرياء بالكفر إذ قال: ((إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا : وما الشرك الأصغر، قال: الرياء))[٥٢]، أما في آثار الأولياء فقد ذكروا جميعهم هذه السمة ونهوا عنها، وما يعنينا هنا ما ذكره الإمام الباقر ﷺ ، فقد قال بهذا الشأن: ((الإبقاء على العمل أشد من العمل، قيل: وما الإبقاء على العمل: قال: يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له، فكتب له سرا، ثمَّ يذكرها فتمحى، فكتب له علانية، ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء))[٥٣]، فالمقصود ليس أن تقام الأعمال بسرية، إنما ألا يكون الخير معمولا ليراه الآخرون، وقد عالج الإمام الباقر هذه المسألة لمّا سأله زرارة عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسره ذلك، فقال : لا بأس ما

من أحد إلا وهو يحب أن يظهر له في الناس الخير، إذا لم يكن صنع ذلك لذلك[٥٤]، فإذا لم يكن عمل المعروف لأجل التباهي فلا بأس من شيوعه بين الناس، وفي ذلك حكمة يريدها أهل البيت عليهم السلام، وهي أن يشيع عمل الخير والإحسان بين الناس، فالفاصل بين عمل الخير لوجه الله والرياء دقيق جدا ينبغي أن يتنبه إليه الجميع.

ولم يكتفِ الإمام الباقر عليه السلام من التحذير من هذه الصفة القبيحة بالأحاديث المباشرة، بل استغل تفسيره للآيات القرآنية لينهَ عن ذلك، فقد قال عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٥٥]، فقال:((من صلى مراءاة الناس فهو مشرك، ومن زكى مراءاة الناس فهو مشرك، ومن صام مراءاة الناس فهو مشرك، ومن حج مراءاة الناس فهو مشرك، ومن عمل عملا مما أمر به الله مراءاة الناس فهو مشرك ولا يقبل الله عمل مراءٍ))[٥٦]، وقال عليه السلام في موضع آخر: ((لو أن عبدا عمل عملا يطلب به رحمة الله والدار الآخرة ثم أدخل فيه رضا أحد من الناس كان مشركا))[٥٧]، وفي هذه الأحاديث ((نبه الإمام الباقر عليه السلام هنا إلى وجوب تجنب مجالات الرياء ومظاهره، ولا يكون ذلك إلا بإخفاء الطاعات والعبادات وسترها على الملأ من الناس ريثما يثق الإنسان بنفسه ويحرز فيها الإخلاص، ويجب أيضا زجر الشيطان وطرد هواجسه في المراءاة طردا حاسما والاعتماد على ما انطوى عليه قلب المؤمن من حب الإخلاص ومقت الرياء))[٥٨]، وذكر الصدوق أحاديث عن الإمام الباقر عليه السلام تشير إلى ذم هذه الصفة، والنهي عنها، فقال: ((بئس العبد عبدٌ يكون ذا وجهين، وذا لسانين يطري أخاه شاهدا ويأكله غائبا، إن أُعطي حسده، وإن ابتُلي خذله))[٥٩].

فأيُّ دورٍ قام به الإمام الباقر عليه السلام، وأي توجيهات تربوية وأخلاقية قدمها عليه السلام للمجتمع آنذاك لينقذه من السقوط في مستنقع الكفر والعصيان؟! وأي عبء وقع على عاتق الأئمة عليهم السلام في مجتمع سادت فيه أنواع الانحرافات والمساوئ الأخلاقية؟ لقد أدّوا عليهم السلام أجمعين ولا سيما أمامنا الباقر رسالتهم الإنسانية والتربوية والأخلاقية ليكونوا امتدادا لجدهم النبي الأكرم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المطلب الخامس: شرب الخمر

لا يحتاج الحديث عن هذه الصفة إلى كثيرٍ من الكلام، فهي من الشهرة بمكان لا يحتاج إلى

كثير من الكلام، فتحريمها واضح وصريح في القرآن والسنة والإجماع، ويكفينا هنا أن نشير إلى عينات من تحريمها، ففي القرآن الكريم ، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ ، فاستعمل فعل الأمر الصريح (اجتنبوا) ليدل على حرمة الخمر بلا أدنى تأويل، بعد أن مرَّ التحريم بمراحل ذكرتها آيات قرآنية لسنا بصددها في هذا الموضع، وفي السنة النبوية وردت أحاديث كثيرة، منها: قال النبيّ ﷺ : ((لعن الله الخمر وعاصرها وغارسها وشاربها وساقيها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه))[٦٠].

أما ما ذكره الإمام الباقر بشأن تحريم الخمر فهو كثير، وقد تناقلته كتب الأصول والفروع منها قوله عليه السلام: ((إن الله حرَّم الخمر لفعلها وفسادها))[٦١]، وعنه عليه السلام أيضا: ((أفاعيل الخمر تعلو على كل ذنب كما تعلو شجرتها على كل شجرة))[٦٢]، ولم يكتف الإمام عليه السلام ببيان تحريم الخمر، بل أخذ يبيّن عواقب هذا الأمر، وما سيلاقيه شارب الخمر فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام: ((يأتي شارب الخمر يوم القيامة مسودّاً وجهه مدلعاً لسانه يسيل لعابه على صدره ينادي العطش وحق على الله أن يسقيه من طينة خبال، قيل له: وما بئر خبال؟ قال: بئر يسيل فيها صديد الزناة))[٦٣].

ولا يخفى على أحد السبب الذي أدى إلى هذا التأكيد على تحريم الخمر، فمضارها كثيرة إذ توقع العداوة والكره بين الناس، وتبعدهم عن ذكر الله وإقامة الفرائض، وتؤدي إلى تعطيل المصالح لأنها تؤدي إلى ذهاب العقل الذي به تدار هذه المصالح، وربما يقدم شارب الخمر على ارتكاب الجرائم كالقتل والسرقة والزنا؛ لأنه في مرحلة غياب العقل الذي ميز الله تعالى به الإنسان عن الحيوان، فابتعاد الانسان عن السمات الإنسانية الجميلة والطبائع المحترمة، لم يكن إلا بسبب شرب الخمر لهذا نهى إمامنا الباقر عليه السلام نهيا شديدا، ربما دعته الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك إلى هذا النهي، وكان نهيه عليه السلام مصداقاً للحديث النبوي الشريف الذي ينص على: ((ثلاثةٌ لا يدخُلونَ الجنَّةَ: العاقُّ لوالِدَيهِ ، والمدمِنُ على الخمرِ ، والمنَّانُ بما أعطى))[٦٤].

نسأل الله أن ينعم علينا جميعا بواسع رحمته ويجعلنا من المقبولين ويجنبنا الكبائر والصغار بحسن الخاتمة، والسيرة، التي نرجو أن تكون على هدي سيرة محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين

الخاتمة

بعد هذه الرحلة العَجِلة في رحاب بركات إمامنا الباقر (عليه وعلى آبائه وأجداده أفضل التحية وأوفر السلام)، وقبل تسجيل ما ترشح لي في هذا البحث لابد لي من أن أقول إنني اقتصرت على بعض الصفات الأخلاقية السيئة التي كانت سائدة في ذلك العصر، وبينت موقف الإمام الباقر عليه السلام منها، ولو تركت للقلم أن يكتب عما في ذلك العصر من المساوئ لطال بنا الحديث إلى أكثر من متطلبات البحث الأكاديمي المطلوب.

وعلى أي حال فقد ظهرت بضعة مسائل يمكن أن تكون نتائج لهذا البحث هي :

١- كان للإمام الباقر عليه السلام دور كبير في الإرشاد والتوجيه التربوي والأخلاقي للمجتمع الأموي آنذاك، الذي كان يدور في أفلاك الخلفاء الأمويين وأمرائهم الذين عاصرهم الإمام الباقر عليه السلام، فتارة نجد أحدهم منشغلاً بالحروب والنزاعات والتصفيات، وتارة نجد الآخر مهتمّاً بشؤون الجواري والغلمان، وثالثة نجد أحدهم يسعى لتثبيت ملكه وإزالة الآخرين، في ظل هذه الظروف كان الشعب يترنح بين تلك التوجهات والرغبات، وطبيعي أن تحدث ثغرات هنا وهناك بين طبقات المجتمع، لذلك كان الإمام بالمرصاد لتوجيه الناس نحو الطريق الصحيح.

٢- يلاحظ من خلال معالجة المسائل المعروضة في هذا البحث، أن الامتداد الفكري، والأخلاقي والانساني بين آل البيت عليهم السلام أجمعين، فما يقوله الإمام الباقر هو امتداد لما قاله الإمام زين العابدين، وما فعله الإمام الحسين، وما أرساه الإمام الحسن، وما أكده الإمام علي وصولا إلى النبي عليه وعلى آله أفضل التحية والسلام، وطبيعي أن النبي الأكرم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

٣- كان الإمام الباقر في خطاباته وتوجيهاته التربوية والأخلاقية يلتزم لغة واضحة سهلة الفهم والإدراك لكل من يطلع عليها، حتى لا يبقى عذر لمعتذر، أو حجة لمحاجج، فهو عليه السلام يبين المسائل بهذه الطريقة دون أن ينأى بنفسه عن المجتمع، وينعزل في القصور الفخمة فلا يراه أحد، كما هو شأن الخلفاء والأمراء الذين لا يريدون إلا من يرغبون به ويحتاجون إلى مدحه، أو وشايته، أو سعيه.

الهوامش

١- بحار الأنوار :٤٤/ ٣٢٩

٢- الأدب المفرد، البخاري: ٦٢، رقم الحديث ٢٧٣

٣- أبو جعفر محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب الباقر، أحد الأئمة الاثني عشر ...كان الباقر عالما سيدا كبيرا، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم، أي توسع، ...مولده يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة، وكان عمره يوم قتل جده الحسين، ، ثلاث سنين، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، . وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائة، وقيل في الثالث والعشرين من صفر سنة أربع عشرة، وقيل سبع عشرة، وقيل ثمان عشرة ...نقل إلى المدينة ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي ، في القبة التي فيها قبر العباس . ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ١٧٤،وسير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤/ ٤٠٤.

٤- أعلام الهداية:، الإمام محمد الباقر: ١٨.

٥- ينظر: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر: ١/ ١٦٠ - ١٦٨.

٦- قراءة في المسار الأموي، مروان خليفات: ١٧- ١٨.

٧- الدولة الأموية: د. يوسف العش: ٣١٣

٨- ينظر: لسان العرب: ٢/ ٨٣٩،

٩- ينظر: المحيط في اللغة:١٣١.

١٠- الانحراف الأخلاقي وأثره على المجتمع: ٨٢

١١- ينظر: الإمام الباقر وأثره في التفسير: ٣٧٥.

١٢- سيرة الأئمة الاثني عشر:٤/ ٦٣

١٣- ينظر: مقاييس اللغة: ١/ ٤٦٥.

١٤- التوقيف على مهمات التعاريف: ٢٤٧.

١٥- مرقاة المفاتيح : ٨/ ٣١٧٥.

١٦- بحار الأنوار : ٤٦/ ٣٩٦.

١٧- م.ن.

١٨- حياة الإمام الباقر: ١/ ٣١٤.

١٩- ينظر البيان والتبيين: ٢/ ١٦٧.

٢٠- البيان والتبيين: ٣/ ١٠٤.

٢١- حياة الإمام الباقر: ٢٦٩.

٢٢-الكافي : ٤/ ٢٥، وينظر: حياة الإمام الباقر: ٢٩٦.

٢٣-وسائل الشيعة: ١٦/ ٣٠٥ ، وينظر: حياة الإمام الباقر: ٢٩٦.

٢٤- ينظر : مقاييس اللغة: ٤/ ٤٠٣.
٢٥- ينظر : الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٣٣٥.
٢٦- الصحاح : ١/ ١٩٦.
٢٧- الحجرات : ١٢
٢٨- الكافي: ٢/ ٣٦٩.
٢٩- من لا يحضره الفقيه: ٤/ ١٥
٣٠- تحف العقول: ١/ ٢٩٨. وينظر: حياة الإمام الباقر: ٣٠٣.
٣١- وسائل الشيعة: ١٢/ ٢٨٢.
٣٢- لسان العرب : ١٢/ ٥٩٢.
٣٣- ينظر: لسان العرب/ ١٢/ ٥٩٢.
٣٤- القلم: ١٠ - ١١.
٣٥- ينظر: لسان العرب: ٥/ ١٥٣.
٣٦- لقمان: ١٨.
٣٧- صحيح مسلم: ١/ ٩٣
٣٨- إحياء علوم الدين:٣/ ٣٣٩.
٣٩- الكافي : ٢/ ٤٩٢.
٤٠- المصدر نفسه والصفحة نفسها.
٤١- جامع السعادات: ١/ ٣٣١.
٤٢- م.ن.
٤٣- حياة الإمام الباقر: ١/ ٣٠١.
٤٤- جامع السعادات: ١/ ٣٤١.
٤٥- لقمان ١٨.
٤٦- جامع السعادات: ١/ ٣٤٥.
٤٧- الكافي: ٢/ ٥٠٢ ، وينظر: موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ٨/ ٣٣٣.
٤٨- النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٥١٦.
٤٩- القاموس الفقهي: ١/ ١٤١.
٥٠- الفروق اللغوية: ١/ ٢٢٩.
٥١- الماعون: ٤، ٥، ٦.
٥٢- بحار الأنوار: ٧٣/ ١٥٨.، وينظر : ميزان الحكمة: ١/ ١١١.
٥٣- جامع السعادات: ٢/ ١٦٢.
٥٤- ينظر: ميزان الحكمة: ٢/ ١٠٢٠.

٥٥- الكهف : ١١٠.
٥٦- تفسير القمي: ٢/ ٦٢٤.، وينظر الإمام الباقر وأثره في التفسير: ٣٨٤.
٥٧- تفسير العياشي: ٢/ ٤٦.
٥٨- الإمام الباقر وأثره في التفسير: ٣٨٦.
٥٩- الكافي : ٢/ ٣٤٢، وينظر: أمالي الصدوق : ٣٠.
٦٠- أمالي الصدوق: ٢٥٥.
٦١- ميزان الحكمة: ١/ ٨١٨.
٦٢- م.ن.
٦٣- الخصال ٢/ ١٦١.
٦٤- صحيح النسائي: رقم الحديث (٢٥٦١).

المصادر والمراجع

* إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ) ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت لبنان ٢٠٠٥.

* الأدب المفرد، البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري(ت ٢٥٦هـ ٩)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥ هـ .

* أعلام الهداية:، الإمام محمد الباقر عليه السلام، لجنة التأليف، ط٣، مركز الطباعة والنشر للمجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام مطبعة ليلى ، قم المقدسة، ٢٠٠٦.

* أمالي الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت ٣٨١هـ) قدم له: العلامة محمد مهدي السيد حسن الموسوي، المطبعة الحيدرية النجف، ١٩٧٠.

* الإمام الباقر عليه السلام وأثره في التفسير، د. حكمت عبيد الخفاجي، ط١، مؤسسة البلاغ سوريا دمشق،٢٠٠٥.

* الانحراف الأخلاقي وأثره على المجتمع، د. عبد هادي فريح القيسي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد ٣٢، ٢٠١٨.

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، المجلد الثالث والعشرون، ط٢، دار الأميرة للطباعة بيروت لبنان، ٢٠١١.

* البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـ) تح: عبد السلام هارون، ط١، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ٢٠١٠.

* تحف العقول عن آل الرسول أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني،(من أعلام القرن الرابع) قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الأعلمي،ط٧،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ٢٠٠٢.

* تفسير العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود العياشي(٣٢٠هـ)، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة ، قم، ط١، مؤسسة البعثة، طهران، ٢٠٠١.

* تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي(من أعلام القرن الثالث)، تح: السيد محمد باقر الأبطحي، ط١، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ٢٠١٤.

* التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي المناوي(١٠٣١هـ) ط١، عالم الكتب ، القاهرة، ١٩٩٠.

* جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي،ط٧، انتشارات إسماعيليان، قم، ٢٠٠٧.

* الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) ،تح:هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣ م

* حياة الإمام الباقر، العلامة باقر شريف القرشي،ط١، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٩٩٣.

* الخصال الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) تح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم المقدسة، ١٩٨٣.

* الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان: د. يوسف العش، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، سوريا دمشق، ١٩٨٥.

* سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(ت ٧٤٨هـ)، تح: إحسان عباس، بيت الأفكار الدولية لبنان، ٢٠٠٤.

* سيرة الأئمة الاثني عشر، الشيخ محمد حسن ال ياسين، ط١، دار المؤرخ العربي بيروت لبنان، ٢٠١٢.

* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو

نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)،تح: أحمد عبد الغفور عطار،ط٤، دار العلم للملايين – بيروت،
* سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت ٣٠٣هـ)، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط٣، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦.
* صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت٢٦١هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩١.
* الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: بعد٤٠٠هـ)،تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
* القاموس الفقهي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، ط٢، دار الفكر. دمشق – سورية .١٩٩٣.
* قراءة في المسار الأموي من كتاب الغير للشيخ الأميني، مروان خليفات: مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي، ط١، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٨.
* الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني، (ت ٣٢٨هـ) ط١،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ٢٠٠٥.
* لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر – بيروت ، ١٩٩٣..
* المحيط في اللغة: الصاحب إسماعيل بن عباد(ت ٣٨٥هـ) تح: محمد حسن ال ياسين،ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٤.
* مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت – لبنان، ٢٠٠٢.
* مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)،تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، ١٩٧٩م.
* من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
* موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم ﷺ (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، أحمد معمور العسيري،ط١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ١٩٩٦.
* موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ، الشيخ هادي النجفي، ط١، دار إحيا التراث العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠٢.
* ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ط١، دار الحديث، قم، ١٩٥٥.
* النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية - بيروت، - ١٩٧٩م
* وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي(ت١١٠٤هـ)، ط٢، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٩٩٣.
* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ٩٩٠ – ١٩٩٤.

الانحراف الفكري: عناصره وإصلاحه في عهد الإمام الباقر عليه السلام (دراسة استقرائية)

الباحث محمد حسن المولى

مركز الدراسات والمراجعة العلمية / كربلاء المقدسة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه الأكرم محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، وأخص فيهم الباقر لعلم الله، الفاحص عن دين الله، المبين لحكم الله، النور الساطع، البدر اللامع، الحق الأبلج، السراج الأسرج، صلوات الله عليه وعلى آبائه البررة .

في زمن بات الإجرام والقتل هو سجية الحكام والسلاطين، وفي سنين حدثت الكثير من المآسي في المجتمعات الإسلامية، الجور والظلم منتشر في كل مكان والدعات إلى الدين كانوا عبيدا عند السلاطين، فكان الإمام الباقر ينظر إلى ذلك المجتمع وهو ينخر نخرا ولكن هل سيبقى ﷺ ساكنا ؟.

حتما لا فسجيته وسجية اجداده هي الإصلاح والوقوف بوجه الانحراف، كانت عندئذ مسؤولية الإمام كبيرة جدا ولا تستطيع الجبال الرواسي حملها، فكان المجتمع يتعرض إلى عدة انوع من الانحراف، أبرزها الانحرافات السياسية والاقتصادية والفكرية، وكان للسلطة الأموية دور في كل انحراف من تلك الانحرافات، أي إن كل حركة منحرفة كانت مسنودة من السلطة الأموية. ولكن إمامنا كان لا يبالي إلى حجم تلك الانحرافات لأنه سيد همام وعالم غير معلم، اجتمع به الفرعان الكرم والحسن الحسني والآباء والعطاء الحسيني فهو من أب حسيني ومن أم حسنية فقد جمع مكارم الفرعين وعزمهما، فحتما لن يكون إلا قائدا ناجحا لهذه الازمات.

بداية وضع الإمام خطة ستراتيجية للمواقف والحركات التي كان يعاني منها المجتمع، ونستطيع أن نقول إنه قد درس المشاكل المجتمعية بجل ابعادها وكل مستوياتها حتى إن تمت تلك المشاهدات والدراسات، طرح خطته العملية وبدأ بتطبيقها بذكاء وهدوء تامين متخلصا بهما من أعين السلطة، واستغل غياب دورها بمفاسدها ليطبق خطته تلك ويخرج بالمسلمين والإسلام إلى بر الامان في تلك الحقبة، مؤسسا لحضارة علمية شامخة في المستقبل ليخرج منها اجيال لا تهزها تلك الاباطيل .

فحين توضيح مظاهر وظواهر الانحراف عبر التاريخ، والتركيز على ما حصل من انحراف في عهد إمامنا الباقر؛ والتأمل في دوره بإدارة تلك الازمات الفكرية يعطي لنا خريطة جاهزة في كيفية ادارة تلك المواقف.

المبحث الأول : مفهوم الانحراف وظواهره

المطلب الأول : مفهوم الانحراف .

للانحراف معانٍ عديدة ورؤى متعددة، فكل علم من العلوم يعرف الانحراف بما هو يراه، وكذا علماء اللغة قد ذكروا أوجه كثيرة لمعنى الانحراف، فقد ذُكر على أنه، مصدر انحرف الشيء الذي مال... [1] وقد عرفه بعضهم أنه "اِنْحِرافٌ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ"، والخُروجُ عَنْ جادَّةِ الصَّوابِ، والابْتِعادُ عَنْها، وَالانْحِرافُ مُصْطَلَحٌ في عِلْمِ النَّفْسِ الاجْتِماعِيِّ يَعْنِي الخُروجُ عَنْ ما هُوَ مأْلوفٌ وَمُتَعارَفٌ عَلَيْهِ مِنْ عادَاتٍ وَسُلوكٍ.[2] إن الانحراف هو في الأساس ظاهرة نفسية مستنتجة من اضطرابات وردود افعال تجاه أمر معين، أو أحيانا يكون بسبب رغبة لا أكثر، فإنه ذكر كثيرا كمشكلة نفسية، فاهتم كثيرا في تبيانه علماء النفس. ففي علم النفس والأمراض العقلية يعتبر الانحراف سلوكا جنسيا ينحرف عن العرف المألوف أو المقبول اجتماعيا[3].

إن أغلب العلوم توجد فيما بينها الكثير من المشتركات، أحيانا تكون مشتركاتها في الخصائص كاللغة مثلا فهي خاصية مشتركة بين اغلب العلوم فلا نستطيع أن نتعامل مع أي علم كان دون وجود اللغة، احيانا تكون مشتركاتها في النتائج، مثلا إبادة الورقة في علم الفيزياء يكون بتمزيقها وتقطيعها إلى قطع صغيرة، وفي علم الكيمياء تكون إبادتها بحرقها، من الواضح أن كلتا الطريقتين مؤديتان إلى نتيجة واحدة حتى وإن اختلفت الكيفية، كذا الظواهر السلبية والعوائق العملية قد تكون مشتركة بين العلوم، لذا فإننا نرى كل العلوم تمر بتلك المشكلات وتضع لها خططا وترسم طريقا للخروج من ازماتها.

ومن العلوم التي تنظر إلى الانحراف على أنه مشكلة لابد من حلها هو علم الاجتماع فيقول بعض الباحثين في علم الاجتماع إن الانحراف هو وصف للأفعال أو السلوكيات التي تخرق أو تنتهك المعايير الاجتماعية، بما في ذلك القوانين المسنونة، مثل القيام بعمل إجرامي، أو الخروقات غير الرسمية، كرفض عادات وأعراف مجتمع ما. فالانحراف سلوكٌ لا يتوافق مع القواعد المؤسساتية أو قواعد السلوك.[4]

الانحراف الفكري :

في المجتمع هناك الكثير من اوجه الانحراف منها السلوكي والأخلاقي والاقتصادي والعرفي، ولكن أخطر أنواع الانحراف هو الانحراف الفكري الذي يعد من اصعب انواع الانحرافات التي من الممكن أن تكون هي أول بوادر تلك الانحرافات، فقط ظهر ذلك في بعض البلدان العربية والإسلامية، حيث بدأت الاجندة الخارجية بتحريف أفكارهم ومزج افكار منحرفة لهم، وبدأت تظهر بوادر ذلك الانحراف من المخدرات وهي أولها، فقد بدأت بعض المواقع تنشر تلك الدسائس التي تجعل الشباب يتوجه نحو الانحراف واذا كانت ضحية تلك الانحرافات هي مجموعة من الشباب الذين بدؤوا يرددوا شعارات ضد دينهم ومعتقداتهم ويرون أن من الضروري أن يتحرر الإنسان من قيود الدين والأعراف، وبدأوا يتوجهون إلى المخدرات وبعد أن ضيقت عليهم السلطات في بلدانهم ذهبوا إلى البلدان الغربية، وكان في تلك البلدان ثمن المخدرات هو السجود لألهتهم والاعتقاد بما يعتقدون بعضهم سلم بالطاعة وبعضم رفض وعاد إلى رشده(٥).

إن التأمل في التاريخ يكشف لنا عن الكثير من الغرائب والعجائب، فإن في كل عهد وفي كل حقبة تاريخية أكتشف أن الانحراف الفكري يأتي بمظهر جديد. سابقا كان يأتي كتشكيك عقائدي او كحركات جديدة لها بعض الادعاءات الباطلة التي يراد بها غاية الانحراف الفكري، ولكن غالبا إن من يحرك تلك الحركات والتيارات المنحرفة هي جهة متقصدة لا تريد الخير إلا لنفسها .

مظاهر الانحراف الفكري :

إن السبل التي من شأنها أن تحقق غايات الانحراف الفكري عديدة ولا يمكن حصرها ببعض نقاط، فإن مظاهر الانحراف الفكري تختلف من وقت لآخر، وسنتطرق إلى ذكر مظاهر الانحراف عبر التاريخ سنذهل في أن هذه المظاهر مختلفة من وقت لآخر، ولكن هناك بعض المشتركات والركائز الأساسية التي يكثر ذكرها هي..

١-**القدرة على التضليل و الخداع**: إن التضليل والخداع في الواقع هو من أخطر أنواع الانحرافات الفكرية، فقد اصبح التضليل هو وسيلة لا تجري معها وسيلة من الوسائل المضللة والمزورة

للحقائق، ولكي يكون التضليل امرا يحقق غايات الانحراف لابد من استعمال لغة الانفعال التي تؤثر في نفوس الآخرين فتضل بذلك النفوس الخاسرة كما في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ**﴾[٦].

وهذا التضليل لا يختلف عن التضليل الإعلامي فإن الكثير يعلم ان لغة الدعاية تعتبر هي الوسيلة والأداة للانحراف الفكري، وقد ذكر ذلك بعض المختصين في الدعاية الاعلامية، فمثلا نجد في قاموس ايفرون الموسوعي تفسيرا موسعا لمفهوم الدعاية والتضليل فيذكر ان الاستخدام الممنهج لأي وسيلة اتصال على عقل واحاسيس هذه الفئة من الناس لهدف محدد، له أهمية اجتماعية كبيرة[٧].

أعتقد أن الأهمية الاجتماعية هي كل الاحداث المؤثرة فكرا على الافراد في المجتمع، والتظليل له تأثير كبير في الافراد وفي كل العصور، فلا أظن أن هناك رجلا واحدا يعرف رسول الله حق معرفته ويقاتله، اغلب الذين شنوا حروبهم على النبي في بداية الدعوة كانوا تحت تأثير ذلك التضليل الاعلامي، فهم لا يعرفون عن النبي سوى أنه كاذب وساحر ودجال وحاشى له ذلك أي انهم لا يعرفون عنه سوى المشاع والمضلل، فكان كل الذي يقترب إلى رسول الله ويعرف قدره وحقيقته فإنه يعزف عن عدائه إن لم يتب بين يديه.

وكذا باقي الائمة صلوات الله عليهم أجمعين؛ التضليل والخداع الذي كان بعصرهم من قبل السلطات والمنافقين جعل الناس يتعدون على أهل البيت ويعادونهم، ولا يزال هذا التضليل هو الخطر الاكبر في عصرنا هذا.

٢-تشويه الحقائق: ان طبول العدو دائما ما تدق على هذه القضية لأنها تشغل النصيب الاكبر من قناعات الناس، فعندما قتل أمير المؤمنين عليه السلام في محرابه تعجب الشاميون آن ذاك من أن علي بن أبي طالب كان يصلي!

إن تشويه الحقائق أمر لا يقل خطورة عن غيره في تغيير عقائد الناس وحرف تفكيرهم نحو الاتجاه المتهالك، وهذا ما حدث في زمن الإمام الباقر، حيث إن السلطة الأموية في الوقت الذي كانت تدلس فيه وتفتري على الاحاديث النبوية والعترة الطاهرة، كانت هناك الكثير من

الفرق المنحرفة التي ظهرت وبدأت تمتد.

٣-اسقاط القدوة : ان اللعب على الوتر الأول هو الذي يجعل العزف جميلا. هذه هي قاعدة خبراء التضليل والتدليس، فالوتر الأول عندهم هو القدوة، فمن المحال أنك تسيطر على فئة معينة وقدوتهم لا يزال مرشدا فيهم يقول عالم الاجتماع المغربي المفكر الدكتور مهدي المنجرة (١٩٣٣-٢٠١٤) نقلاً عن أحد المستشرقين: إذا أردت أن تهدم حضارة أمة فهناك وسائل ثلاث: اهدم الأسرة – اهدم التعليم – أسقط القدوة[٨].

أسباب الانحراف الفكري :

إن ظواهر الانحراف الفكري التي مرت على العصور السابقة كانت نتيجة أسباب معينة، إما أن تكون تلك الاسباب مجتمعية ومشتركة، كأن يكون الانحراف بسبب تجاهل الدولة ما يعمله المفسدون من تدليس وتضليل للحقائق والافكار، وأحيانا تكون تلك الأسباب ذاتية .

الأسباب الذاتية :

- الجهل هو مصدر كل الأخطاء، لأن الجاهل لا يحكم عقله بل يندفع وراء عاطفته، وغالبا ما يكون ضحية للانجراف في الهلاك .

- بروز مظاهر الانحلال والتفسخ في المجتمع بسبب التغيرات التي تطرأ على البنية الأخلاقية، وهو ما ينتج عنه تطرف معاكس بالغلو والتشدد وبالتالي الضياع في متاهات التطرّف الفكري.

- الظن وانتشار الإشاعة التي عندما تنتشر في المجتمع، يصبح ذلك المجتمع مسرحاً لتبادل الاتهامات والظن السيء بالناس، مما يُوسع الفجوة بين أبناء المجتمع الواحد، ويفتح الباب على مصراعيه أمام الأفكار التكفيرية وإلغاء الآخر.

- تقصير الدولة في دورها من ناحية مراقبة الأفكار التي تنشر، وعدم محاسبة الفرق التي تدعو للضلال، فمهما بلغت الدولة من حرية في الفكر والاعتقاد إلا أنها لابد من أن تجعل هناك رقابة فكرية، فإن القانون الأمريكي الذي صدر في عام ١٧٩١م ، والذي نص بالحرية الكاملة للأفراد بالمجتمع بيد أنهم ما إن شاهدوا مؤشرات الانحراف الفكري، حتى قاموا

مباشرة في التقييد من تلك الحريات نوعا ما، ووضعوا قوانين في السلامة الفكرية[٩]، وكل المجتمعات لا تستطيع أن تسيطر على شعوبها سلوكيا إلا حينما تقوم بضبط الأفراد فكريا .

المطلب الثاني : ظواهر الانحراف الفكري في العصور السابقة .

الغوص في تاريخ ظاهرة معينة بات محالا اليوم كون أن المواقف كثيرة وعديدة في التاريخ ولا يستطيع أحد أن يحصي تلك الظواهر والسبب يعود إلى أنها ممتدة جذورها في تاريخ كبير، يكفينا أن نركز على أهم تلك الظواهر في العصر الإسلامي وإلى غاية بحثنا ألا وهي الضجة المنحرفة فكرا في زمن الإمام أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه .

في بداية العهد الإسلامي كانت الحركات المنحرفة محدودة وكانت متمثلة في ثلاثة محاور وهي..

١ .المشركون في مكة .

٢ .اليهود في الجزيرة العربية .

٣ .المنافقون في المدينة .

– ان الحركة المكية كانت لا تشتكي إلا من خطر محور واحد ألا وهو حركة بعض زعامات قريش في حركة الكفر والاشراك، كانت تلك الحركة تشكل خطرا كبيرا على المسلمين خصوصا أن الإسلام كان حديثَ عهدٍ آن ذاك، وقد استحسن رسول الله طرقه في التصدي لذلك الانحراف حتى قال فيه خبراء التخطيط (إن النبي الاكرم كان أكبر قائد عسكري على مستوى البشر، فقد كان حكيماً في تصرفاته القيادية)[١٠] .

أما الخطر الثاني فهم اليهود الذين كانوا في المدينة، فهم كما قال الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[١١]، خطرهم لا يزال قائما طالما هم في المدينة فبدأت بوادر لإشاعة فكر منحرف ودس بعض العادات اليهودية بين المسلمين إلا أن رسول الله كما قال عنه الكثير، خير مثالٍ في معاملته لليهود والنصارى[١٢] إلا أنهم لا يزالون يشكلون خطرا فكريا على الإسلام، ولكن بعد أن رأى رسول الله بعض المخاطر منهم قام بإخراجهم خارج المدينة خوفا من انقلابهم العسكري أولا ومن الفكري

ثانيا، فحاصرهم النبيّ وقام بإجلائهم عن المدينة مع قدرته على قتلهم والانتقام منهم، لكنّه عاملهم بالحسنى كقائدٍ يُريد حماية دولته من كلّ معادٍ[١٣].

أما المنافقون فإن بداية حركتهم كانت في المدينة فجاء في قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**﴾[١٤] فقد كاد يُنخر الإسلام من الإشاعات التي يظهرونها ومن الشعارات التي يرفعونها، استطاع رسول الله أن يعالج بعضها وبعضها الاخر توسعت دائرته حتى خرج عن السيطرة واستمر إلى يومنا هذا، إن ما يجعل الانحراف الفكري أشد خطورة هو دخوله بلباس الدين والعلم، وهذا ما حصل في أواخر عهد رسول الله وبعده .

– أما في عهد أمير المؤمنين فقد ملأ قلبه قيحا (صلوات الله عليه)، فإن الحركة الكبيرة التي شاعت في عهده هي حركة الخوارج التي بدأت تشكل خطرا على الإسلام والمسلمين كلهم، حيث إن أمير المؤمنين كان يخاف على المسلمين من أفكارهم وانحرافهم فهذا ما كان يشكل خطرا كبيرا آن ذاك، والخطر الكبير هو أنهم يدعون الإسلام اساسا ويطلقون على أنفسهم (أهل الايمان) ولكن بعد ان خرجوا على امير المؤمنين شاع عليهم لقب الخوارج[١٥]. وقال الشهرستاني في الملل والنحل[١٦] : "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً..". وزاد ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام علي أو شاركهم في آرائهم في أي زمن.

وهو يتفق مع تعريف الشهرستاني[١٧]. فهم كانت لهم فرق عديدة كادت تصل إلى عشرين فرقة كما ذكر عبد القاهر البغدادي أن فرقها تربو على عشرين فرقة، ولا شك في أن كثرة هذه الفرق يعني اختلافها فيما بينها في بعض الأمور التفصيلية[١٨]، وكان اشتراك تلك الفرق كما ذكر العلامة البغدادي[١٩] في عدائهم وعزمهم على نشر أفكارهم المنحرفة بين الاوساط الإسلامية. فأحداث الاسنان سفهاء الأحلام[٢٠] كانت سجيتهم نشر الانحراف بين الناس وكانوا يجدون نوعا من المقبولية في ذلك الوقت، لأن لباسهم الإيمان وكلامهم القرآن، كما قيل عنهم ذليقة ألسنتهم بالقران[٢١]، يقرؤونه لا يجاوز تراقيهم[٢٢]، أما النصوص فقد ذكرت أنهم

"يقرؤون القرآن، ويحسبون أنه لهم، وهو عليهم"[٢٣] .

لم يهدأ المجتمع الإسلامي من ذلك الخطر المنحرف آن ذاك إلا بعد أن شن عليهم أمير المؤمنين الحرب، فكرا وعلما قبل أن يشنها نارا وحديداً، فكما قال بعض المؤرخين: " قد عرفنا أنه عليه السلام قد خطب الخوارج بخطب ذات عدد، وأنه قد ردهم بكلامه الحلو في غير موطن"[٢٤]، وبعدها انخدع الناس بهم وبدأت أفكارهم المنحرفة تؤثر في المسلمين حتى تصدى أمير المؤمنين لهم بالسيف بعد أن عجز من النصح " اضطر علي عليه السلام وآصحابه إلى مواجهة هذا الفهم الساذج "[٢٥] .

– والامام الحسن عليه السلام مر بين مصراعين، الأول هو بقايا فرق الخوارج التي أوشكت على الهلاك، والثاني بداية قوة العهد المشؤوم عهد الدولة الأموية، التي أعتمد فيها معاوية على بث الاشاعات والطعنات الفكرية والمذهبية، "وعادة ما تسيطر على عقول المجتمع وقد يصعب إبطالها أحياناً بعد أن تستشري في المجتمع وتتمكن من قناعاتهم"[٢٦] .

– أما ابو عبد الله الحسين صلوات الله تعالى عليه فقد كان في لب العهد الذي انتشرت فيه الانحرافات الفكرية من قبل السلطة نفسها ألا وهي سلطة يزيد اللعين الذي شاع في الأرض فسادا وضلال، ولا يغيب عن الذهن ما يقوله الدكتور علي الوردي في أن يزيد كان صورة لأبي سفيان[٢٧] ، فكان يبث الانحراف ويشيع الفواحش بشكل تستحي منه أبأس الكائنات، من خلال تصريحاته وخطبه على منبار الجمع والمؤمنين، وكذا من خلال أبياته الشعرية ..

أُدعُ إلهَكَ فِي السَّمَاءِ فَإنَّنِي أدْعُو علَيْكَ رِجَالَ عُكَّ وَأَشْعَرِ
كَيْفَ النَّجَاةُ أَبَا خُبَيْبٍ مِنْهُمْ فَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ أَتَي العَسْكَرِ
(اسْقِنِي شَرْبَةً تُرَوِّي مُشَاشِي ثُمَّ مِلْ فَاسِق مِثْلَهَا ابْنَ زِيادِ)[٢٨]

إن الدعوة المنحرفة التي اشاعها يزيد لن يشهد التاريخ مثلها، فإنها متكاملة من كل مباني الانحراف، من اباحة التمرد والاعتداء على الدماء الطاهرة، ومن الاقرار وإباحة شرب الخمر والأرجاس، ومن اعتداء على الذات الالهية، فكان دور الحسين عليه السلام أن لا سبيل لنجاة الإسلام إلا بخروجه وتضحيته، إلا أن قبل شهادته ثمة اصلاحات فكرية وضعها عليه السلام للمسلمين حتى لا يضل أحد من المسلمين بهذه الزوبعات.

– وزين العابدين ﷺ لو أردت أن أركز على الاصلاحات التي قدمها هو وآباؤه في المؤسسة الدينية والمؤسسة التربوية والاخلاقية للزم ذلك الامر سلسلة ومجلدات؛ ولكن تركيزنا على دور الإمام الباقر في التصدي للانحرافات الفكرية هو الذي جعلنا ندخل في هذين المطلبين، من بيان مفهوم الانحراف، والتطرق إلى مظاهره عبر العصور الإسلامية التي سبقت الإمام الباقر لندخل بعد ذلك في أوجه الانحراف في عهد الإمام الباقر وكيفية تصديه لها .

المبحث الثاني : عناصر الانحراف في عهد الإمام .

إن أوجه الانحراف متعددة فلن تستطيع أن تتعرف على الانحراف في الوهلة الأولى ، ولا تستطيع ان تحكم على تصرف معين أنه منحرف إلا حينما تركز جيدا فيه، فبعض التصرفات لا تكون نتائجها آنية، ولا تستطيع أن تجزم أن غايتها شنيعة، فمن يتودد بتقديم العسل إليك حتما لن تفكر أن العسل فيه سم. كذا هو فعل السلطات الطاغية تعلن أنها حريصة أشد الحرص على حماية عقائد المسلمين، ومسؤولة على رعايتهم فكريا، ولكن طالما نرى أن هذه السلطات هي من تبث روح التخريب والانحراف بين الناس، أو إذا كانت السلطة تحت أنظار بعض علماء الدين وسادات الأمة فهي تتخوف غالبا من فعل تلك الامور بشكل مباشر، ولكنها في الوقت نفسه لا تكف عن مكرها فعلى أقل تقدير ترفع يدها وعينها عن الرقابة الفكرية والسلوكية، وتجعل الناس ينشغلون عن فسادهم بتلك الدوامات من الانحراف.

إن هذا عين ما حدث في عهد الإمام الباقر، ذلك العهد الشؤوم مر بمرحلة تعمد الأمويون فيها أن يضعوا خططا ليلهوا الناس فيها، كأن قاموا بتحريك بعض الفرق التي تشغل الرأي العام آن ذاك ويكون صداها على كل لسان، وأيضا رفعت يدها تماما عن الرقابة الفكرية والسلوكية، لتجتمع بذلك كل مظاهر الانحراف الفكري، فكانت ما أصعبها من مرحلة مرت على قلب سيدنا وإمامنا أبي جعفر ﷺ، فقد استمرت تلك المرحلة نحو تسع وعشرين عاما فامتدت تلك المآسي من عام ٩٥ هـ وحتى عام ١٢٤ هـ ، ظهرت فيها عدة عناصر للانحراف سأقوم بذكرها فيما سأكتبه من مطالب موضحا اخطار تلك العناصر والصدى الذي صنعته والاثر الذي تركته معللا السبب الذي أدى إلى قيامها .

المطلب الأول : عناصر الانحراف الداخلي .

اعتمدت بهذا البحث على استقرائي للوضع الفكري والسياسي في ذلك الوقت فرأيت أن عناصر الانحراف انقسمت إلى ثلاثة أقسام: عنصر حدث داخل المؤسسة الإسلامية، أي بين المسلمين ظهرت فرق ومدراس وأفكار منحرفة، وعناصر خارجية لا تتستر بالإسلام لها دينها ومذهبها فأضحت تمثل خطرا خارجيا على الإسلام والمسلمين وتبث عقائدها المنحرفة وهم غالبا ما يكونون يهودا أو نصارى، وكان اخطر تلك العناصر المنحرفة هو خط الأمويين وأخص فيهم سلاطينهم الذين عاثوا في الأرض فسادا، وكان دور الإمام آن ذاك هو أن يتصدى ويرد على كل هذه الانحرافات .

١ .الخوارج :

وهم ليسوا حديثي عهد في ذلك الوقت، فكانت صولاتهم وجولاتهم المنحرفة منذ عهد أمير المؤمنين عليه السلام واستمرت إلى باقي العصور، فكانت تحيا وتموت من مدة إلى مدة، وفي عهد الإمام الباقر وجدوا المتنفس في هذا العصر والفرصة الكاملة لدس أفكارهم المنحرفة وتنظيم صفوفهم التي اهتزت منذ عهد امير المؤمنين، فبدأت احدى مدارسهم الأولى والأبرز في ذلك الوقت هي مدرسة الأزارقة، التي كانت تنسب إلى نافع بن الأزرق الذي أخذ يناظر علماء المسلمين ويبث مبدأ التكفير بين الناس، وكان في وقتها الإمام الباقر عليه السلام كالطود الشامخ يعرف ببقر العلم والصمود في المناظرة والتحديات العلمية، فحينما وصل الخبر إلى نافع بن الأزرق جاء إلى الإمام الباقر عليه السلام فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام.

فقال له أبو جعفر في عرض كلامه : قل لهذه المارقة بما استحللتم فراق أمير المؤمنين عليه السلام وقد سفكتم دماءكم بين يديه وفي طاعته والقربة إلى الله تعالى بنصرته ؟! فسيقولون لك: إنّه حكّم في دين الله .

فقل لهم : قد حكّم اللهّ تعالى في شريعة نبيّه موردين في رجلين من خلقه قال جلّ اسمه : ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ النساء: ٣٥ وحكّم رسول اللهّ صلى الله عليه وآله سعد بن معاذ في بني قريظة، فحكم بما أمضاه الله ؛ أو ما علمتم أنّ أمير المؤمنين إنّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا

يتعدّياه واشترط ردّ ما خالف القرآن من أحكام الرجال، وقال حين قالوا له : حكمت على نفسك من حكم عليك فقال : ما حكّمت مخلوقاً وإنما حكمت كتاب الله، فأين تجد المارقة تضليلاً من أمر بالحكم بالقرآن واشترط رد ما خالفه؟! لولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان "[٢٩].

إن هذا الأسلوب في الخطاب هو الذي جعل الخصم أكثر تأثرا، فالإمام نجده في جانب شديداً في خطابه مع الخصم وفي جانب آخر لن تجد ألطف من كلامه، وهذا يتبع الاستقراء الحسي الذي كان يعتمد عليه الإمام، فكان أشبه بالذي يقرأ خصمه في المحاورة فيعتمد على ذلك في طريقة محاورته وخطابه هذا من جانب، ومن جانب آخر رأيت أن الإمام كان حذرا في التعامل مع غير المسلمين والمؤلفة قلوبهم لأن القسوة في الكلام ستؤثر سلبيا فيهم وربما سيكون عندهم انطباع عنفي عن الإسلام والدين، واما في خطابه مع علماء المسلمين إذا بدر منهم تقصير في واجبهم العملي فيختلف تماما عن باقي الخطاب، والمتتبع للتاريخ والأخبار يعرف ذلك جيدا.

ثم إن الجانب العقلي والاستدلال التاريخي كان طابعا في كلام الإمام ﷺ، فقد مر في المناظرة السابقة اسلوب الإمام في الاستدلال العقلي والتاريخي الذي يؤثر دائما في الجانب النفسي للمتلقي، وهذا ما حصل فإن نافعا في نهاية المطاف سلم بما قاله الإمام رغم أنه كان زعيم فرقته ومؤسس مدرسة كاملة، ولكن لم يستطع أن يقاوم أمام ذلك البحر الخضم. فقال نافع بن الأزرق: "هذا كلام ما مر بسمعي قط، ولا خطر مني ببال، وهو الحق إن شاء الله" [٣٠] .

٢.تيارات التفويض والارجاء :

إن في قبال حركة الغلو والجحد والجبر هناك حركات وتيارات أخرى أشد خطورة، فمنها حركة المفوضة التي يجعلون الله خليا من القدرة على الانسان، فيدعون أنه تبارك وتعالى فوض قدرة الإنسان إلى الإنسان، وكانت نهوض تلك الحركة في ذلك الوقت بسبب عامل واحد، هو غياب دور الدولة عن كل الحركات التي ظهرت، ولسوء حظهم أن الحكومة الأموية حين إذ كانت قد رأت في فكرهم إساءة لهم، فإذا عم فكرهم فسيعلم الناس أن الله ليس هو السبب في تولية الأمويين على الناس، وإن كل ما يحدث من جور وظلم هو من ارادتهم . وكانت الدولة الأموية قد ساعدت فكر الجبر على الانتشار، ليظن الناس أن ظلم الامويين هو قضاء من عند الله، والرأيان لا يرضيان الله تبارك

وتعالى ولا أهل العلم . وبعد أن شاع ذلك الفكر قام الامويون آن ذاك بتهديم مساجد المفوضة وقتل رموزها، وازدادت الأمور سوءاً، وكأني أرى أن مثل هذه المواقف لا تحل إلا بأهلها وكان أبو جعفر الباقر من أهلها، فتصدى عليه السلام رافضا ذلك الفكر موضحا ومعللا بأسلوبه العلمي والعقلي الفريد من نوعه فقال عليه السلام: (**إنّ اللهّ عزّ وجلّ أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذّبهم عليها ، واللهّ أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون**)[٣١]. وفي حديث آخر قال عليه السلام: (**إيّاك أن تقول بالتفويض فإنّ الله عزّ وجلّ لم يفوّض الأمر إلى خلقه وهناً وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً**)[٣٢] .

قمت باختيار هذين النوعين من الانحراف لأنهما طرفان متعاكسان ومختلفان في الآن نفسه، وهذا الاختلاف هو الذي ادى إلى تمسك كل طرف بمعتقده، فالتفويض كان ممنوعا ومحاربا من الأمويين وقد أدى هذا إلى تمسك المفوضة بمعتقدهم. وأما الارجاء فكان مسنودا ومدعوما ومروجا من قبل الأمويين لأنه يعني أن الإسلام والايمان هو نية في القلب وذكر بلسان، فلا يحتاج إلى عمل مطلقا[٣٣]، وهذا ما يناسب مصالحهم.

وبدأ هذا المبدأ يشيع على أنه مبدأ سلاطين آل أمية فروي أنّه لما استخلف يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥ هـ) قال : سيروا سيرة عمر بن عبدالعزيز ، فأتوه بأربعين شيخاً شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب[٣٤]. وقد ترك أثرا كبيرا ذلك المعتقد آن ذاك وحتى في الوقت الحالي لا تزال هذه العقيدة قائمة على قدم وساق في بعض الاوساط، ولم يكُ هناك متصد ابرز من الإمام الباقر في ذلك العهد. قيل لأبي جعفر عليه السلام : (إنّ عندنا قوماً يقولون : إذا شهد أن لا إله إلاّ اللهّ ، وأنّ محمداً رسول اللهّ ، فهو مؤمن. قال عليه السلام : (**فلِمَ يضربون الحدود ، ولِمَ تُقطع أيديهم؟! وما خلق اللهّ عزّ وجلّ خلقاً أكرم على اللهّ عزّ وجلّ من المؤمن ، لأنّ الملائكة خدّام المؤمنين ، وأنّ جوار اللهّ للمؤمنين ، وأنّ الجنّة للمؤمنين ، وأنّ الحور العين للمؤمنين ، ثم قال عليه السلام : فما بال من جحد الفرائض كان كافراً؟**)[٣٥]. فكانت نتيجة تصدي الإمام في ذلك الوقت، قد أثرت وعصمت الشيعة في حينها ولم تأخذ أثرها البليغ في إيقاف تلك الواقعة عند عموم المسلمين بسبب تضامن ودعم الأمويين لذلك المبدأ .

٣.الإفتاء بالرأي :

وقد أصبحت هذه الظاهرة كزوبعة في فنجان في ذلك الأوان، حتى كانوا يسمونها الناس في ذلك الوقت بعيبة العلماء فكان يقال (إن الفقهاء اهل الراي اكثروا من الافتاء بالراي خشية ان يقعوا في الكذب على رسول الله..)[٣٦]. فكانوا يعتقدون أن الافتاء بالرأي يقيهم من الإحراج مع رسول الله، أو خشية أن يقعوا بالكذب كما يدعون، ولكن كان موقف الإمام الباقر مختلفا تماما عما يقولون ويدعون فحين سأل عن الافتاء بالراي قال عليه السلام: **(لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا نفتيهم بآثار من رسول الله صلى الله عليه وآله وأصول علم عندنا، نتوارثها كابرا عن كابر)**[٣٧].

٤.وضع الحديث :

المشكلة الكبرى التي عانى منها المسلمون في ذلك العصر هي وضع الحديث والسبب مختلف فيه بين المفكرين فبعضهم قال إن الدولة الأموية قد خصصت لجانا لتزوير الحديث وتحريف كلام رسول الله منهم الشيخ القرشي[٣٨]، وبعضهم الآخر قال إن الانفلات الرقابي الذي حصل في ذلك العصر أدى إلى وضع احاديث ونسبها إلى النبي. فكانت معالجات الإمام في شأن الحديث هي معالجات جادة وفعلية أثرت كثيرا في ذلك الوقت حتى كان يفتخر بها المعصومون بعد الإمام الباقر عليه السلام ومنهم الإمام الصادق الذي كان إذا أراد أن يثبت صحة حديثه كان يقول : (حديثي حديث أبي..)[٣٩]، فكان الإمام الباقر مدعاة للفخر عند جميع الأئمة والعلماء.

أبو جعفر عليه السلام كان كما عبر عنه الكثير كالطود الشامخ وكالجبل القائم ينصح ويعظ ويستنكر فكان في احاديثه بيان ورشد لعموم المسلمين، ومناظرته كبار تلك الحركات المنحرفة التي كانت نتيجتها بتغلب وذكاء حتى قال عنه الشيخ المفيد (وناظَرَ مَنْ كانَ يَرِدُ عليه من أَهلِ الآراء وحَفِظَ عنه النّاسُ كثيراً من علمِ الكلامِ)[٤٠]. وكان يحاسب علماء المسلمين إذا أخفقوا أو أخطأوا فكان سيد العلماء في عصره، وإن الباحث والمتأمل في التاريخ يقينا سيلاحظ أن وجود الإمام في تلك الحقبة عصم المسلمين من وجهة لا يعلم بمصيرها إلا الله عز وجل.

المطلب الثاني : عناصر الانحراف الخارجي .

إن ذلك الوقت كان من أصعب ما مر على المسلمين، فهناك حركات وفرق تضرب المؤسسة الإسلامية من الداخل، وهناك جهات وحركات تضربها من الخارج فكان الإمام الباقر بين هذه وتلك، ولكن حسب المعطيات التي وضعت أمامي وسأعرضها في مبحثي الثالث تبين أن الإمام كان مسيطرا نوعا ما في ذلك الوقت وخرج من تلك الأزمات بكل قوة وتغلب، رغم أن تلك الجهات والحركات لم يكن من الهين التغلب عليها، ومنها ..

١ .بعض النصارى :

ولا نعني أن النصارى هم فرقة منحرفة وإنما كما في المجتمع الإسلامي هناك فرق منحرفة بدأت تتعدى الحدود وتبث الأفكار والنوايا المنحرفة بين المسلمين فهناك فرق من الديانات الاخرى بدأت تروج افكارها المنحرفة. وهذا ما أدى إلى ان يتصدى الإمام عليه السلام إلى تلك الانحرافات، منها هي أن النصارى أشاعوا أن هم دين الحق وباقي الديانات كلها باطلة ويزعمون بنفس الوقت أن لهم عالماً في الشام يجري ولا يجرى معه فعندما سمع به الإمام الباقر عليه السلام أراد أن يقطع تلك الظاهرة من جذرها، فناظره عندها ذلك العالم واجابه على عدة أسئلة منها سؤال النصراني : أنتم الذين تزعمون أنّكم تذهبون إلى الجنّة فتأكلون وتشربون ولا تحدثون؟ قال عليه السلام : نعم ، الجنين يأكل في بطن أُمّه من طعامها ، ويشرب من شرابها ولا يحدث.

قال : أخبرني عن رجلين ولدا في ساعة واحدة ، وماتا في ساعة واحدة ، عاش أحدهما خمسين ومئة سنة ، وعاش الآخر خمسين سنة. قال عليه السلام : هما عزير وعزرة ، عاش عزرة مع عزير ثلاثين سنة، ثم أمات اللهّ عزيراً مائة سنة ، وبقي عزرة يحيا ، ثم بعث اللهّ عزيراً فعاش مع عزرة عشرين سنة.

قال النصراني : يا معشر النصارى ، ما رأيت أحداً قط أعلم من هذا الرجل ، لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام [٤١] .

وللإمام الباقر عليه السلام حوارات أُخرى مع رموز آخرين ، منهم سالم التمّار من البترية ، وقتادة بن دعامة البصري ، وطاوس اليماني، وهشام بن عبد الملك ، والأبرش بن الوليد الكلبي وزير

هشام بن عبد الملك. ان الذي رايته في مناظرة الإمام للنصارى ولغير المسلمين هو أسلوب علمي بحت، فلا يستعمل معهم اسلوب الإقناع المباشر أو الإرغام على أمر معين إنما يعرض عليهم بعض ما عنده معلوم ويجيب على اسئلتهم ثم يناظرهم بكل أدب وخلق وبعد ذلك نرى الانبهار والتعجب قد بان عليهم، ومن تلك الخطوات كان يتغلب ويتصدى علميا .

٢. فرق الزنادقة :

بداية لابد من التنويه إلى مسألة معينة، هي أن المدرسة الكبيرة والعظيمة علميا وسلوكيا وأخلاقيا، في زمن الإمام الصادق وضع اساسها ابوه الإمام الباقر ﷺ، فإن قوة الإمام الصادق العلمية كانت موروثة ومكتسبة من الإمام الباقر بالإضافة إلى أن تربية الإمام للعلماء في ذلك الوقت قد بان مفعولها وأينعت ثمارها وهذا ما لا يخفى على اي أحد من الناس أن شدة الإمام وواقعيته في التعامل مع العلماء كانت قد استلزمتها الضرورة القصوى .

وإن ظهور وانتشار هذه الفرقة كان في نهاية عهد الإمام الباقر، وكانت نهايتها على يد مدرسة الإمام الباقر التي استمر ببناء مبانيها الإمام الصادق ﷺ وبعض العلماء من الذين تتلمذوا على يد الإمام الباقر ﷺ . كان دور الدولة الأموية في شأن الزنادقة كدورهم في باقي الفرق التي ظهرت، تم السكوت عنها حتى أخذت تغير معتقدات الكثير من الناس، حتى سقوط الدولة الأموية ومجيء الدولة العباسية التي حدت نوعا ما من هذه الانحرافات لتحسن صورتها أمام الناس، فيذهب المؤرخون إلى القول إن الخليفة العباسي محمد المهدي هو أول من أمر بإنشاء ديوان باسم "ديوان الزنادقة"، ليتولى القائمون على أمره تتبّع المتهمين بالزندقة[٤٢]. وقد استغل العباسيون هذا الأمر للقضاء على مخالفيهم وجعلوا القضاء على الانحراف غطاء لهم، وهذا ما ذهب إليه بعض المفكرين والباحثين فلم يكن كل هؤلاء الذين يتهمون بالزنادقة زنادقة حقا؛ وإنما كان منهم من يتهم بالزندقة لأسباب سياسية، يقول الفيلسوف المصري المعروف عبد الرحمن بدوي، في كتابه "من تاريخ الإلحاد في الإسلام" (اتخذ الخلفاء العباسيون من هذا الاتهام وسيلة للقضاء على خصومهم ..).

على وجه العموم فإن تلك الفرقة قد بدأت توجه ضرباتها نحو الإسلام وأصابت سهامها

بعض المسلمين الذين ضعف إيمانهم وقد تصدى الإمام الباقر عليه السلام في أواخر عهده إلى تلك الفرقة الضالة من خلال توصياته وتلامذته، حتى وإن كانت لم تنتهِ في تلك الحقبة التي كان فيها الإمام الباقر إلا أن نهايتها الشكلية كانت على يد مدرسة الإمام الباقر التي تخرج فيها ولده الصادق ومجموعة من العلماء .

المطلب الثالث : عنصر السلطة الحاكمة .

بين الاخطار الكبيرة والآلام المتراكمة والضربات الموجعة التي كانت توجهها العناصر الداخلية والخارجية في ذلك الوقت، وبين الماضي الذي لم تندمل جراحه، فبين غصب الخلافة ومقتل أمير المؤمنين ودس السم إلى الحسن، وبين يوم عاشوراء الذي أدمى قلب إمامنا الباقر وشهادة أبيه السجاد كل هذه المصائب والمواجع كانت متعلقة في وجدان أبي جعفر عليه السلام، رغم ذلك كان يحمل عبءَ حماقة السلطة الأموية التي كانت تبيت نوايا جاهلة، يريدون أن يسيطروا على الوضع السياسي من خلال حرف الناس فكريا وجعلهم ينشغلون في تلك الأمور.

في الواقع إن السلطة لم تك ترتب النوايا المنحرفة فحسب، إنما كانت هي منحرفة أساسا، فقد مر إمامنا الباقر بعدة عهود قبل إمامته أواخر أيام معاوية بن أبي سفيان الذي عهد إلى ابنه الطاغية يزيد ٦٠ ـ ٦٤ هـ ، فجعل الخلافة ملكا يتوارثه آل سفيان وآل مروان ، وعهد يزيد إلى ابنه معاوية بن يزيد الذي خلع نفسه فلم يمارس الحكم ، وتوفّي بعد فترة وجيزة من البيعة له، ومن ثم مروان بن الحكم ٦٤ ـ ٦٥ هـ ، وعبد الملك بن مروان ٦٥ ـ ٨٦ هـ ، والوليد بن عبد الملك ٨٦ ـ ٩٦ هـ. وأدرك خلال فترة إمامته عليه السلام نحو سنة واحدة من أيام الوليد بن عبد الملك، وأيام سليمان بن عبد الملك ٩٦ ـ ٩٩ هـ ، وعمر بن عبد العزيز بن مروان ٩٩ ـ ١٠١ هـ، ويزيد بن عبد الملك ١٠١ ـ ١٠٥ هـ ، وهشام بن عبد الملك ١٠٥ ـ ١٢٥ هـ .

وكان هؤلاء الحكام هم أبرز شريحة أفسدت وأسقطت من مفهوم الخلافة الإسلامية وأبعدت وأظلت الناس عن الجوهر الحقيقي للإسلام فيقول أحد الكتاب (لقد أجمع المؤرخون والمختصون على أن الحكام الأمويين هم الذين أدخلوا الخلاعة والمجون والفجور وشرب الخمر وممارسة المحرمات الشاذة إلى مؤسسة الخلافة ، حتى أصبحت دار الخلافة

مركـزا للهـو والعبـث والفسـاد)[٤٣]. رغـم التصريحـات التـي كانـوا يصرحـون بهـا جهـرا وأمـام الآخريـن فيسـقطون في ذلـك شـخصية الخلافـة الإسـلامية وبعدهـا يجعلـون النـاس تنحـرف عـن معتقداتهـم بسـبب مـا يروجونـه مـن تصريحـات كتصريحـات يزيـد بـن معاويـة مثـلا وتصريحـات أبيـه اللعيـن عـلى منـبر الجمعـة في سـب أمـير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب ﷺ، فـكان المنـبر بالنسـبة اليهـم منصـات اعلاميـة يوصلـون دسائسـهم الخبيثـة مـن خلالهـا، فقـال ابـن الأثـير : إن عبـد الملـك بـن مـروان أول مـن نهـى عـن الأمـر بالمعـروف ، فإنـه قـال في خطبتـه بعـد قتـل ابـن الزبـير (ولا يأمـرني أحـد بتقـوى الله بعـد مقامـي هـذا إلا ضربـت عنقـه)[٤٤] .

كان مـن المفـترض أن يتوقـف البطـش والفسـاد عنـد هـذا الحـد، بيـد أن الأمويـين لم يكتفـوا بهـذا القـدر مـن الفسـاد واسـتمروا بفسـادهم أكثـر فأكثـر، حتـى قامـوا في بدايـة دولتهـم بتأسـيس مؤسسـة عاملـة عـلى تزويـر وتلفيـق الأحاديـث والأخبـار النبويـة، فقـال أبـو جعفـر الإسـكافي المعتـزلي : (إن معاويـة وضـع قومـا مـن الصحابـة وقومـا مـن التابعـين عـلى روايـة أخبـار قبيحـة في عـلي ﷺ تقتضي الطعـن فيـه والـبراءة منـه ، وجعـل لهـم عـلى ذلـك جعـلا يرغـب في مثلـه فاختلفـوا مـا أرضـاه ، منهـم أبـو هريـرة وعمـرو بـن العـاص والمغـيرة بـن شـعبة ومـن التابعـين عـروة بـن الزبـير)[٤٥] .

فكانت تلك المؤسسة تنتج المئات من الأحاديث الملفقة والمزورة التي كانت تؤثر في عامة الناس وعلى اساسها نشأت هذه الفرق التي نراها اليوم فيقول ابن عرفة : (إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت أيام بني أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم)[٤٦]. وإني قد رأيت صنفين من الناس صنف يأكل به الدين وصنف يأكل بالدين، وبنو أمية كانوا ممن يأكل ويتاجر في الإسلام فالظاهر الواضح الذي وصل الينا من اخبار وشهادات تاريخية تبين أن هذا البيت لم يعرف حتى مبادئ الإسلام، فهم يعتدون على الذات الالهية ويعتدون على مقام النبوة وعلى الآل، فإن رسول الله كان قد لقب الإمام محمد بن علي بالباقر الذي يبقر العلم في زمن الجهل الأموي، وإذا بهشام بن عبد الملك يسمي ذلك الإمام بالبقرة وفي محضر أخيه زيد بن علي فغضب وقال: لشدّ ما خالفت رسول اللهّ ﷺ، سمّاه رسول اللهّ الباقر ، وتسميه أنت البقرة![٤٧]، فعرف عن انحرافهم وفسادهم في جميع المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية آن ذاك .

فكان دور الإمام في ردهم عظيما، فقد كان يخالفهم فيما يقولون من الباطل ويناظرهم ويبين لهم الصواب من الخطأ وكان يحذر الناس من التعامل معهم والتأثر بهم فعن أبي بصير قال سالت أبا جعفر عن التعامل معهم فقال لي: (يا أبا محمد ، لا ولا مَدّة قلم ، إن أحدكم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلاّ أصابوا من دينه مثله)[٤٨] وكما حذر من الدخول إليهم أيضا وعبر عنه بحب الدنيا كما ورد عن عبد الغفار بن القاسم[٤٩]، فكان الإمام الباقر يعمل بذكاء وهدوء في إبعاد الناس عن السلطة الجائرة وتمكن من ذلك رغم أنه لم يستعمل السلاح كوسيلة لمعارضة السلطة إنما استعمل مبدأً أخر وهو أكثر فاعلية في وقته، هو أن يضربهم بتوصياته ومن داخل مؤسستهم الفانية .

في الواقع نحن إلى الآن لم نعرض الخطة الاستراتيجية التي وضعها الإمام الباقر لعبور تلك الحقبة، والتي سنقوم بذكر محاورها في المبحث الثالث، فقد كان زمام تلك الحقبة بين يديه وكانت روح القيادة التي عنده تجبره على أن يضع خططا لعبور تلك المرحلة، فكانت الخطة التي وضعها الإمام مبهرة جدا لجميع المفكرين والمصلحين، فقد قال المستشرق الإنجليزي دونلدسن: "كان الإمام الباقر يبحث في مواضيع كثيرة كماهية الروح، وصفات العلماء وصفات الله ". لأن ما طرحه الإمام من خلال علومه ودروسه وما تطرق اليه من مقترحات عملية لعبور تلك المرحلة وأضف خططه المستقبلية التي تعمل على تقويم هذا الخط، كل هذا لم يكن شيئا هينا فالنتائج التي حصلت والثمار التي اقتطفت لم تكن بمقتضى السهولة أبدا، وسنضع في مبحثنا الأخير تلك الإصلاحات التي قومت الدين والمذهب .

المبحث الثالث : الدور الإصلاحي للإمام .

المطلب الأول : الإصلاح العلمي.

إن الجهل الذي عانت منه الأمة الإسلامية في تلك الحقبة كان السبب الرئيسي في نشوء تلك الانحرافات وتوسعها، فالانحراف الفكري لا ينتج إلا عن :

١.غياب الدور العلمي .

٢.غياب النشأة الصحيحة .

٣.تجبر وطغيان السلاطين .

وكل هذه النقاط اجتمعت في ذلك العهد الأموي فإن الدور العلمي كان مقتصرا على بعض الكتاتيب والحفظة في المساجد والبيوت وكانوا رغم ذلك ملاحقين بتهم ما أنزل الله بها من سلطان، والنشأة كانت غير صحيحة فإن حكم معاوية ويزيد ظهرت آثاره السلبية في عهد الإمام الباقر؛ لأن من ولد في العهدين السابقين كان وعيه وفهمه في عهد الإمام الباقر ﷺ، لذلك نشأتهم غير صحيحة كانت سببا في انحرافهم فكريا، وأضف إلى ذلك طغيان السلاطين الذي كان سببا أساسيا في قلب مفاهيم هذه الأمة وتغير بوصلة عقلها وتفكيرها من خلال الفرق الضالة التي أوجدتها وفتحت لها حيزا وجعلت لها متسعا لتمارس دورها المنحرف بين الامة . الإمام الباقر لم يقعد مكتوف اليدين في ذلك الوقت بل بادر إلى وضع أسس علمية تستطيع أن تغير حاضر ومستقبل هذه الأمة وتقضي على الانحرافات بشكل أسرع، فكانت أهم إصلاحاته العلمية هي ..

المدرسة الفقهية الإسلامية :

إن أحد الفلاسفة اليونان كان جالسا فدخل عليه قوم يشتكون من كثرة الانحراف عندهم ومن القتل والسرقة والدمار، فطلبوا منه نصيحة تغير واقع حالهم فقال لهم "ابنوا المدارس" وسكت بعدها، ليبين أن اداة الاصلاح الأنسب في العالم للتخلص من الجهل والسيطرة على الوضع السلوكي هي بناء مدرسة، وهذا ما تعلمه الفلاسفة والمفكرون من الإمام الباقر الذي عمد في تلك الأزمة إلى بناء مدرسة ليخرج الإسلام إلى بر الأمان، فالناس في ذلك الوقت كانوا يعانون من جهل فاحش كما يقول الدكتور علي حسن: (وقد أدى تتبعنا للنصوص التاريخية إلى أمثلة كثيرة تدل على هذه الظاهرة ـ أي إهمال الشؤون الدينية ـ التي كانت تسود القرن الأول سواء لدى الحكام أو العلماء أو الشعب، ونعني بها عدم المعرفة بشؤون الدين، والتأرجح وعدم الجزم والقطع فيها حتى في العبادات، فمن ذلك ما روي أن ابن عباس خطب في آخر شهر رمضان على منبر البصرة فقال: اخرجوا صدقة صومكم فكان الناس لم يعلموا، فقال: من ها هنا من أهل المدينة؟ فقوموا إلى إخوانكم فعلموهم، فإنهم لا يعلمون فرض رسول الله)[٥٠]، وكما تدل معطيات التاريخ أن الجهل في ذلك الوقت قد عم البلدان لا في بلد معين، فالشام كانت من أسوأ البلدان جهلا فكما يقال: (فأهل البلاد الإسلامية لم يعرفوا شؤون

دينهم معرفة كافية، وقد كان يوجد في بلاد الشام من لا يعرف عدد الصلوات المفروضة، حتى راحوا يسألون الصحابة عن ذلك..)[٥١]. كانت تلك المدرسة هي الأمل الوحيد التي ينظر لها من قبل اهل العلم على انها هي من سيعيد ماضي رسول الله، وهي من سترجع الأمة إلى رشدها، فتؤسست في مسجد رسول الله وفي مدينته حتى كانت المدينة المنورة هي حضارة العلم المحمدي والبقعة الوحيدة التي كانت متحررة من القيود الأموية.

وكان ممن تخرج في تلك المدرسة هو الإمام الصادق عليه السلام وجمهرة كبيرة من الفقهاء كزرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، وأبان بن تغلب، وغيرهم .

*** منهج مدرسة الإمام الباقر .**

١ .**اتصالها بالنبي** : كانت من مميزات تلك المدرسة هي اتصالها برسول الله صلوات الله عليه وكانت تلك الميزة نادرة في وقت انتشرت فيه الفتيا بالرأي، فكان ما ينقله الإمام الباقر في ذلك الوقت هو عن أبيه عن جده عن أبيه عن رسول الله فكان عليه السلام يقول: (لو أننا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من قبلنا، ولكنا حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه صلى الله عليه وآله فبينها لنا)[٥٢].

٢. **الرجوع إلى حكم العقل**: فانفردت هذه المدرسة في ذلك الوقت بالحداثة والمرونة والاجتهاد، فأدخلت العقل في الفتيا حتى صار مصدرا من مصادر التشريع ومدركا من مدارك الاستنباط، وهذه المستحدثات التي خلقتها تلك المدرسة في ذلك الوقت قد لفتت انظار العلماء وانبهر بها بعض المتعلمين، فكانت أقرب إلى الناس حتى استطاعت أن تغير الكثير من المعتقدات . واستطاع الإمام أيضا من خلال تلك المدرسة بنشر علومها بواسطة من يفد اليه من علماء المسلمين وفي ذلك قال عبد الله بن عطاء: (ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه متعلم)[٥٣]

٣.**الاهتمام بالحديث** : كما تطرقنا في المبحث السابق إلى أن في ذلك الوقت كانت هناك فرق متخصصة لوضع الاحاديث المكذوبة ونسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقام الإمام بإصلاح تلك الظاهر بأمره المسلمين أن الحديث الذي يأخذ في العمل والتطبيق هو الحديث الذي يصدر عن اهل البيت مسقط كل ما عداه. فكان يرسل والحديث ولا يسنده إلى أحد حتى قال ذات مرة: (إذا حدّثت بالحديث فلم أسنده، فسندي فيه أبي زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل

عن الله عزّ وجلّ)[٥٤]. فكان الإمام الباقر أفضل من اهتم بالحديث فكان إذا نقل رواية عن رسول الله كان لا يُسأل عن سندها حتى قيل فيه: (واتفق الحفاظ على الاحتجاج بأبي جعفر)[٥٥]، وإن هذه الإصلاحات العلمية التي قام بها الإمام الباقر كان قد عجز عن القيام بها الكثير من العلماء، بيد أن الإمام الباقر قد حاز قصب السبق في ميدان الإصلاح العلمي الذي قضى من خلاله على جانب الانحراف الفكري.

المطلب الثاني : الاصلاح العملي .

ان الواقع المنحرف في الوقت الذي كان يتطلب إصلاحا علميا في ذلك الوقت، ولكن في الوقت نفسه كان يتطلب اصلاحا عمليا تطبيقيا، خصوصا مع الفئات والفرق المنحرفة لابد من وجود خطوات عملية اصلاحية كتصريحات أو ردود أفعال مثلا تجاه موقف من المواقف، وهذا ما رأيناه من سيرة الإمام الباقر ﷺ، فقد كان مدرسة عملية بقدر ما كان مدرسة علمية . كان الإمام ﷺ يصرح بعدم طاعة الطغاة والانصياع لأوامرهم، ومن الشواهد التي ذكرها التاريخ ان الإمام كان يقف بوجههم ويدينهم ومما روى علي بن محمد النوفلي أن المغيرة استأذن على أبي جعفرﷺ وقال له: أخبر الناس أنّي أعلم الغيب، وأنا أطعمك العراق، فزجره الإمام ﷺ زجراً شديداً وأسمعه ما كره فانصرف عنه[٥٦].واستمرّ الإمام ﷺ في محاصرة المغيرة والتحذير منه وكان يلعنه أمام الناس ويقول: (لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا)[٥٧]. فكان الإمام ﷺ في خط المعارضة الأولى التي استطاع فيها أن يبين للناس معارضته للسلطة الأموية ومخالفته لسياستهم التي لا ترضي الله تبارك وتعالى، كذا باقي الفرق والحركات من المفوضة والمجبرة والغلاة، فوضع قواعد عملية لمن لا يعرف الموازين من تلك الفرق فمن قواعده للغلاة قال: (لا تضعوا عليّاً دون ما وضعه الله، ولا ترفعوه فوق ما رفعه الله)[٥٨].

وقد وضع قواعد أخلاقية عظيمة تبين عظمة الإسلام ومكارم وأخلاقيات مدرسة أهل البيت ﷺ ووضع حدوداً شرعية في التعامل مع الآخرين فقال ﷺ: (قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يبغض اللعان السبّاب الطّعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل الملحف، ويحبّ الحيي الحليم العفيف المتعفّف)[٥٩]، وكذا كان يأمر المسلمين باستعمال الأخلاقيات الصحيحة للإسلام حتى يكون ظاهر الإسلام جميلا كباطنه فقال ﷺ: (صانع المنافق بلسانك، وأخلص مودتك للمؤمن، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته)[٦٠]. فكانت الوقائع العملية مهمة جدا بالنسبة للإمام صلوات الله

عليه فأهتم بأن تكون تلك المدرسة علمية وعملية من ناحية محاسبة السلاطين وإدانتهم اخلاقيا ومن ناحية تطبيق اخلاقيات تلك المدرسة على أفرادها وتعليمها وبثها في الأوساط المجتمعية آن ذاك .

المطلب الثالث : المحاسبة والارشاد .

إن الإمام الباقر في عهده كان يمارس دورين، هما الارشاد والمحاسبة فكان محاسبا للعلماء إذا اخفقوا أو بانت عليهم بوادر التقصير، لأنهم مسؤولون عن هذه الأمة وموقوفون عليها وكان كل الفقهاء صغارا أمام ابي جعفر عليه السلام فهو استاذهم وكبيرهم وعميدهم كما يقال. جاء قتادة بن دعامة البصري إلى الإمام عليه السلام وقد هيّأ له أربعين مسألة ليمتحنه بها، فقال له عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال قتادة: نعم، فقال عليه السلام: "ويحك يا قتادة إنّ الله عزّ وجل خلق خلقاً، فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوّام بأمره، نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه"، فسكت قتادة طويلاً، ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام أحد منهم ما اضطرب قدّامك.[٦١] ان التأمل في مثل هذه المواقف يبين العديد من التحليلات، ولكن الامر الاساسي هو أن الإمام كان يرى في محاسبة العلماء وارشادهم نجاة واصلاح تلك الامة، لأن فاعلية العلماء ودورهم في كل مجتمع يقاس من درجة التزام ذلك المجتمع وإلى أي مرحلة هو سليم من الانحراف الفكري، فكانت محاسبة الإمام الباقر العلماء هي من ادوات التصدي لموجهة الانحرافات . لأن العلماء إذا جالسوا ورافقوا وحدثوا الناس يستطيعون أن يحموا المعتقدات من ضربات الانحراف الموجهة إلى الإسلام، لذلك كان الإمام حريصا على أن يرشد فقهاء ذلك العصر ويحاسب بعضهم اذا سها فأدان الإمام الباقر عليه السلام أبا حنيفة لقوله بالقياس، وعلّق الأُستاذ محمد أبو زهرة على هذه الإدانة قائلاً: تتبيّن إمامة الباقر العلماء، يحاسبهم على ما يبدو منهم، وكأنّه الرئيس يحاكم مرؤوسيه ليحملهم على الجادة، وهم يقبلون طائعين تلك الرئاسة[٦٢]. كانت محاسبته للعلماء محاسبة علمية فهو معاتب لهم اذا وجد تقصيراً في التكليف، ومرشد ومستشار لهم حين لجوئهم اليه حتى قال لأحدهم : (..شرّقا وغرِّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلاّ شيئاً خرج من عندنا)[٦٣]. فكانت غايته الاساسية منقسمة إلى هدفين الأول هو ان يحمل الامة والإسلام إلى بر الامان وأن يقضي قدر المستطاع على تلك الحركات المنحرفة، والهدف الثاني هو أن يؤسس إلى أمة كاملة من خلال مدرسته الكبرى وأستطاع أن ينجز كلتا المهمتين بتمكن ونجاح .

الخاتمة :

وفي نهاية هذه الصفحات لا يسعني إلا أن أحمد الله تبارك وتعالى الذي لم يبلغ شكره الشاكرون، والذي وفقني لخدمة سيدي وإمامي أبي جعفر ﷺ، وأرجو ان يقبل عملي هذا وأن يكون في كفة خدمتي لسادتي وأولي نعمتي أهل البيت صلوات الله عليهم، وأبين آخرا أن بحثي هذا كما لاحظ القارئ العزيز هو من قادني إلى هذه النتائج ولم التزم نتيجة مسبقة منذ البداية، بل كانت موضوعيته هي من تقودني .

الاستنتاجات :

١.إن اساليب الانحراف الفكري كانت كلها نتائج وخطوات مدروسة؛ لإلهاء المجتمع الإسلامي عن ما تفعله السلطة، ولتشويه الصورة الاساسية للإسلام .

٢.إن ظواهر الانحراف التي حدثت في العصور السابقة جعلت قدرا متراكما من الخبرات عند الإمام الباقر فقد أدار تلك الازمات بشكل محترف لأنه كان قارئا جيدا للأحداث والمعطيات .

٣. حركات الانحراف كانت تضرب الإسلام من عنصرين داخلي وخارجي وكانت السلطة وحدها تعدُّ ركنا من أركان الانحراف والافساد .

٤.من ابرز حركات الانحراف التي كانت تضرب الإسلام من الداخل هي فرق الخوارج، تيارات التفويض والارجاء ، والافتاء بالرأي ووضع الحديث وغيرها، وأما الفرق الخارجية فهي بعض الجماعات من النصارى وفرق الزنادقة .

٥.كان للسلطة دورها الأكبر في التضليل والافساد فقد قامت بتأسيس مؤسسة كاملة لوضع الاحاديث الكاذبة على رسول الله وأهل البيت والإسلام .

٦.استطاع الإمام الباقر القضاء على تلك الحركات المنحرفة من خلال نشاطه العملي وتصريحاته ضدهم وتوصيته الناس بعدم الانجراف وراء اباطيلهم، والعلماء بالإرشاد والتواصل مع عامة الناس .

٧.كانت معالجات الإمام في ذلك الوقت في متابعة العلماء والمبلغين ومحاسبة وادانة السلطة قد وضعت موازين عملية وشحذت روح المسؤولية عند الجميع آن ذاك .

٨.اسس الإمام الباقر ﷺ إلى مستقبل زاهر بالعلم والمعرفة من خلال تأسيس مدرسته التي جعلت رعاية خاصة للاستنباط وادراج العقل كمدرك من تلك المدارك، واتصالها المباشر بالنبي ودقة معالجتها للحديث .

الهوامش

١-المعجم المفصل في علم الصرف - راجي الأسمر- صدر:١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

٢-الغني- عبد الغني أبوالعزم - صدر: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

٣-الرائد - جبران مسعود - صدر: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م

4-Macionis, Gerber, L. (2010). Sociology (7th Canadian الطبعة). Toronto: Pearson. ISBN 978-0-13-511927-3.

٥-سبل الوقاية من الانحراف الفكري وتحقيق الأمن الوطني / د. سليمان بن قاسم العيد

٦-سورة القرة - اية ١٦

٧-ينظر في الدعاية والتظليل الاعلامي - د. فريد حاتم الشحف - ص٨

٨-احمد الشيخاوي : الموسوعية والاستشراق في خطاب المنجرة

٩-انظر في حقوق الانسان في الفكر الهاشمي : Human Rights in Hashemi Thought

١٠- ينظر: إستراتيجية الرسول القتالية في غزواته - سعد الدين، أحمد عبد القادر - ٢٠٠٨، العدد (٣١ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٨).

١١- سورة البقرة - الآية ١٢٠

١٢- سلطان البصيري، "موقف المسلم من أهل الكتاب"، www.saaid.net، نشر بتاريخ ١٧-١١-٢٠١٨ .

١٣- مصطفى جمعة (٢٢-٧-٢٠١٧)، "من مواقف الرسول مع اليهود"، www.alukah.net.

١٤- سورة التوبة - الآية ١٠١

١٥-ينظر: المعجم العربي الأساسي ، مادة : خرج. ، وأنظر أيضا في Al-Yaqoubi, Muhammad (٢٠١٥). Refuting ISIS: A Rebuttal Of Its Religious And Ideological Foundations. Sacred Knowledge. صفحات xvii–xviii. ISBN ٩٧٨-١٩٠٨٢٢٤١٢٥.

١٦- الملل والنحل - الشهرستاني - ج ١ - الصفحة ١١٤ .

١٧-كتاب: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، تأليف: غالب بن علي عواجي، الجزء الأول، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية، الطبعة الرابعة: ٢٠٠١م، ص: ٢٢٧-٢٢٨.

١٨-الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل ودراسة)، تأليف: الدكتور علي عبد الفتاح المغربي، الناشر: مكتبه وهبة، الطبعة الثانية: ١٩٩٥م، ص: ١٧٢-١٧٧.

١٩- عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص: ٩٤-٩٥.

٢٠- كما وصفهم أمير المؤمنين - ينظر في المعجم الصغير ج٢ - ص ١٠٠ ، وكنز العمال أيضا ج ١١ - ص١٢٨ .

٢١- تاريخ بغداد ج١ - ص١٦٠ .

٢٢- المعيار والموازنة - ص١٧٠ .

٢٣- نزل الابرار ص ٦٠ - وفي هامشه عن مسلم ج٢ ص٧٤٨ .

٢٤-علي والخوارج تاريخ ودراسة - السيد جعفر مرتضى العاملي - ج١ ، ص١٨٠.

٢٥- نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي - ص١٧٠ - الدكتور علي حسن عبد القادر .
٢٦-راجع صلاح نصر - الحرب النفسية - معركة الكلمة والمعتقد.
٢٧-راجع في وعاظ السلاطين - الدكتور علي الوردي .
٢٨- انظر في النص والاجتهاد - السيد شرف الدين .
٢٩- الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ - الصفحة ١٦٥ .
٣٠- الاحتجاج - ص ٣٢٤ .
٣١-التوحيد - الشيخ الصدوق - ص٣٦٠.
٣٢-بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥ - الصفحة ١٧
٣٣-نظرة عامة في الملل والنحل - ج١ - ص١٢٥
٣٤-تاريخ الخلفاء - ص ٢٤٦.
٣٥-الكافي - ج٢ - ص ٣٣ .
٣٦- الإمام أبو حنيفة النعمان - فقيه أهل العراق وإمام أصحاب الرأي - ص ٦٢ .
٣٧-ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - الصفحة ٢٣٧٣ .
٣٨- حياة الإمام الباقر عليه السلام - ج٢- ص١٥٦-١٥٨.
٣٩-بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢ - الصفحة ١٧٩
٤٠- الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ١٦٣ .
٤١- دلائل الإمامة - ص٢٢٩ .
٤٢-ابن الطقطقي - الفخري - ص ١٢٠.
٤٣-قراءة في مسار الأموي - مروان خليفات - ص١٨ .
٤٤- الكامل في التاريخ - ج ٣ - ص٥٢٢ .
٤٥-شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج١ - ص١٢ - ١٦ .
٤٦- المصدر السابق - ج١ - ص٣٥٨ .
٤٧-عمدة الطالب - ص١٩٤ .
٤٨- الكافي - ج٥ - ص١٠٦ .
٤٩-كفاية الأثر - ص ٢٥٠.
٥٠-الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم - ج٢ / ص١٣١.
٥١-سنن النسائي - ج١ / ص٤٢٠
٥٢- أعلام الورى - ص ٢٧٠.
٥٣-مختصر تاريخ دمشق: ٢٣ / ٧٩ .
٥٤- أعلام الورى- ص٢٩٤.
٥٥-البداية والنهاية - ج ١٣ - ص٧٢ .

٥٦-شرح نهج البلاغة - ج٨ / ص١٢١.
٥٧-بحار الأنوار - ج٢٥ / ص ٢٩.
٥٨-م.ن. ٢٨٣.
٥٩- تحف العقول - ص٢٢٠.
٦٠-المصدر السابق - ص٢١٣ .
٦١-بحار الأنوار - ج٤٦ / ص٣٥٧.
٦٢- تاريخ المذاهب الاسلامية - ص٦٨٩.
٦٣- الكافي - ج١ / ص٣٩٩.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم
* الفخري في الآداب السلطانية – محمد بن علي الطقطقي .
* الاحتجاج - أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي – منشورات الشريف الرضي .
* الأحكام في أصول الأحكام – ابي محمد علي بن احمد بن حزم .
* الموسوعية والاستشراق في خطاب المنجرة احمد الشيخاوي .
* الإرشاد - الشيخ المفيد .
* إستراتيجية الرسول ﷺ القتالية في غزواته - سعد الدين، أحمد عبد القادر - ٢٠٠٨، العدد (٣١ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٨).
* أعلام الورى - الشيخ الطبرسي – الطبعة الأولى .
* الإمام أبو حنيفة النعمان - فقيه أهل العراق وإمام أصحاب الرأي .
* بحار الأنوار - العلامة المجلسي
* البداية والنهاية – بن كثير – بيروت لبنان ١٩٩١.
* تاريخ الخلفاء – جلال الدين السيوطي .
* تاريخ الفقه الإسلامي - للدكتور علي حسن عبد القادر .
* تاريخ المذاهب الإسلامية .
* تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي .
* تحف العقول - ابن شعبة الحراني.
* التوحيد – الشيخ الصدوق .
* الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد، صلاح نصر.
* حقوق الانسان في الفكر الهاشمي: Human Rights in Hashemi Thought.
* حياة الإمام الباقر- باقر شريف القرشي – دار البلاغة الطبعة الأولى ١٩٩٣ .
* الدعاية والتظليل الاعلامي - د. فريد حاتم الشحف .
* دلائل الإمامة – ابي جعفر محمد بن جرير الصغير .
* راجع في وعاظ السلاطين – الدكتور علي الوردي .
* سبل الوقاية من الانحراف الفكري وتحقيق الأمن الوطني / د. سليمان بن قاسم العيد
* سلطان البصيري، "موقف المسلم من أهل الكتاب"، www.saaid.net، نشر بتاريخ ١٧-١١-٢٠١٨ .
* سنن النسائي .
* شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد .
* علي والخوارج تاريخ ودراسة – السيد جعفر مرتضى العاملي .
* عمدة الطالب – النسابة السيد جمال الدين احمد بن علي الحسني .
* الغني- عبدالغني أبوالعزم - صدر: ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م
* الفرق الكلامية الإسلامية (مدخل ودراسة)، الدكتور على عبد الفتاح المغربي، مكتبه وهبة، الطبعة الثانية: ١٩٩٥م، .
* الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي .
* فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها - غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، الطبعة الرابعة : ٢٠٠١م .
* قراءة في مسار الأموي - مروان خليفات .
* الكامل في التاريخ – عز الدين ابو الحسن الشيباني بن الاثير .
* الرائد - جبران مسعود- صدر: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م
* مختصر تاريخ دمشق – محمد بن مكرم بن منظور الطبعة الأولى دار الفكر ١٩٨٤.

* مصطفى جمعة (٢٢-٧-٢٠١٧)، "من مواقف الرسول مع اليهود"، www.alukah.net.
* المعجم الصغير – الطبراني .
* المعجم العربي الأساسي ، مادة : خرج .
* المعجم المفصل في علم الصرف - راجي الأسمر- صدر:١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م
* المعيار والموازنة - أبو جعفر الإسكافي – الطبعة الأولى ١٩٨١ .
* الملل والنحل - الشهرستاني .
* ميزان الحكمة - محمد الريشهري
* نزل الابرار- محمد صديق حسن خان.
* النص والاجتهاد – السيد شرف الدين .
* كنز العمال – ابو الحسن علاء الدين بن علي .

*** المصادر الاجنبية**

* Al-Yaqoubi, Muhammad (2015). Refuting ISIS: A Rebuttal Of Its Religious And Ideological Foundations. Sacred Knowledge. صفحات xii–xviii. ISBN 978-1908224125.
* Macionis, Gerber, L. (2010). Sociology (2- الطبعة the Canadian). Toronto: Pearson. ISBN 978-0-13-511927-3.

الانحراف الفكري ودور
الإمام محمد الباقر عليه السلام في عملية التصحيح

الشيخ محمد رضا الدكسن

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا وحبيب قلوبنا النبي الأكرم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه المنتجبين وعلى مَن والاهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين واللعن الدائم على اعدائهم أجمعين، أما بعد:

إن من دواعي السرور أن اوفق للكتابة عن واحدٍ من أعلام بيت النبّوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي والتنزيل ألا وهو باقر العلوم الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام الملّقب بالباقر والمُكنّى بأبي جعفر وجاء هذا البحث المتواضع تحت عنوان (الانحراف الفكري ودور الإمام الباقر عليه السلام في عملية التصحيح)

أهمية البحث:

أهميةُ البحث باعتباره يلامس أصلاً من اصول العقيدة وهو موضوع (الإمامة) وما لها من عيبة[1] وامتداد لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأن الائمة صلوات الله عليهم بحسب اعتقادنا أنهم علم رسول الله وأمناء الله على وحيه مَن والاّهم فقد وإلى الله ومن عاداهم فقد عادى الله . وهم المنبع الصافي والمحجة البيضاء وسُفنُ النجاة التي من ركبها فقد نجى ومن تخلف عنها فقد غرق.

اسباب اختيار الموضوع:

الحاجة الماسة إلى سيرة حياة الأئمة صلوات الله عليهم ولاسيما ونحن نعيش ظروفاً استثنائية تكاد تنعدم فيها المروءة والمودّة ويقطع فيها صلة الأرحام والبرّ إلى الوالدين والاحسان إلى الصغير والكبير وغيرها مما يرتبط بالمنظومة الاخلاقية. والإمام محمد الباقر واحد من أئمة الهدى الذين أمرنا الله بالتمسك بحبلهم الموصل إلى الله تعالى. فهم سفن النجاة مَن تمسك بهم فقد نجى ومن تخلف عنهم فقد خسر وذلك هو الخسران المبين.

اليوم ونحن نعيش هذه الظروف العصيبة وعلى جميع المستويات إذ يتعرض هذا الجيل للغزو الثقافي السلبي، وتسخير العدّو إلى جميع قنوات الفساد والافساد لغرض تدمير حياة الشباب، من خلال القنوات الإباحية والبرامج المضلّلة وقنوات العهُرِ والرذيلة. مما سبب

ذلك إلى الانحرافات الفكرية كما نسمع ونرى.

أسس الإمام مدرسةً فقهيةً، اخلاقيةً، شاملةً لشتى مجالات الحياة وكان في غاية الاهتمام في كشف الغموض كما انبهم من الامور الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمدنية وغيرها وكان له الدور الكبير في تصحيح مسارات الناس وايقاظهم من غفلتهم وبيان الاحكام الشرعية ومكارم الاخلاق في وقتٍ يعجُّ بالانحرافات والجور والظلم من قبل خلفاء زمانهِ لكنّه تحدّى هذه الظروف وعمِلَ بالممكن.

أهداف البحث:

بيان دور الإمام عليه السلام في

أ-مقاومة الانحرافات الفكرية والسلوكية

ب-الحفاظ على شريعة جدّهِ المصطفى صلى الله عليه وآله

ج-الآثار السلبية للانحرافات الفكرية على الفرد والجماعة

د-دور الإمام في تأسيس علم الاصول الذي يُعدُ المعين في عملية استنباط الاحكام الشرعية

منهجية البحث

((الموضوعية والتحليل))

بعد الاهداء والشكر والامتنان اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث مهمة تحدثت في التمهيد عن المفاهيم الواردة في العنوان وقمت بتعريفها من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

أما المبحث الأول : فكان بعنوان الإمام الباقر عليه السلام فرع الدوحة المحمدية اشتمل على سيرته العطرة وعلاقته بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري.

أما المبحث الثاني فقد وقع الكلام فيه عن الانحراف الفكري مبيناً بعضَ مظاهره وأنواعه وجملة من آثاره السلبية على الفرد والجماعة بما يتلاءم وهذا المختصر.

وفي المبحث الثالث تعرضت لدور الإمام الباقر عليه السلام في عملية التصحيح ودفع الشبهات من خلال مناظراته ، ومن بعد اشرت إلى اهتمامه البالغ في حماية الشريعة المقدسة من الانحراف وقيامه بتأسيس علم الاصول لتمكين الفقيه من استنباط الأحكام الشرعية ولاسيما في حال

الدليل من الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

وفي المبحث الرابع : لم يبقَ لدي الا أن اشير إلى البعد الروائي للاستفادة من بعض الدروس التي سطرها الإمام عليه السلام وذلك بنقلهِ للروايات عن آبائه واجدادهِ صلوات الله عليهم . بوصفها ذات سندٍ عالٍ والاعتماد عليها أولى

وبعد ذلك جاء دور الخاتمة المشتملة على بعض النتائج والوصايا.

وأخيراً قائمة بالمصادر والمراجع.

والحمد لله رب العالمين.

((تحليل مفردات عنوان البحث))

أولاً: الانحراف في اللغة والاصطلاح:

١-في اللغة:

٢-(حرف) حَرفُ كل شيء طرفه وناحيته وجانبه، وفلان على حرفٍ من أمره أي: ناحية منه، إذا رأى شيئاً لا يعجبه عدل عنه [١].

وفي التنزيل قال تعالى ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ**﴾ [٢]

أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر [٣]

وصرف الشيء عن وجهه صرفا: صرفه وغيره، وصرف الشيء اماله وإذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرف وانحرف، ويقال انحرف مزاجه مال عن الاعتدال [٤]

وصرف الكلام: غيره وصرفه عن معانيه، وتحريف الكلم عن مواضعه: تغيره قال تعالى ﴿**فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [٥]

فقد كانت اليهود تغير معاني التوراة بالاشتباه، فوصفهم الله بفعلهم. إذا فالانحراف عن الشيء الميل عنه والخروج عن حد الاعتدال .

الانحراف في الاصطلاح

وهو الميل عن طاعة الله ورسوله، والوقوع في المحرمات فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات والاخلاق وهو بهذا ضد الاستقامة التي امر الله بها رسوله [٦].

وعرفه آخر بأنه: ارتكاب أي فعل نهت الشريعة الاسلامية عن اقترافه، أو ترك أي فعل أو جبت الشريعة الاسلامية القيام به دون ان يكون للفعل أو للترك عذر شرعي معتبر [٧]

وبعضهم الآخر يراه: الخروج عن جادة الله والصواب والبعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان. إذن نتج عما تقدم ان الانحراف هو الميل والعدول عن المألوف ويتجلى معناه في الميل عن جادة الدين الاسلامي وصراطه المستقيم.

ثانيا: الفكر في اللغة والاصطلاح

١-في اللغة

الفِكْر بالكسر ويفتح: إعمال النظر في الشيء كالفكرة والفكرى بكسرهما ج: أفكار فكر فيه وأفكَرَ وفكّر وتفكّر [٨]

الفكر والفكر: اعمال الخاطر في الشيء.

والفكر: اعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول يقال: لي في الأمر فكر، أي نظرة وروية و (فكر) في الأمر فكراً: اعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل بهِ إلى مجهول. وأفكر في الامر: فكّر فيه فهر مفكّر، وفكّر في الأمر مبالغة في فكَرَ. [٩]

قال بعض الأدباء الفكر مقلوب الفرك، ركن يستعمل الفِكرُ في المعاني، وهو فركُ الامور وبحثها للوصول إلى حقيقتها [١٠].

وقد وردت مادة (فكر) في القرآن في نحو ثمانية عشر موضعاً. [١١]

لكنها بصيغة الفعل ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر كما في قوله تعالى (لعلهم يتفكرون) [١٣] وغيرها من الآيات.

٢-الفكر اصطلاحاً: فقد عرف بعدّة تعريفات منها

الفكر هو: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل

وذلك الانسان دون الحيوان، ولا يقال الا فيما يمكن ان يحصل له صوره في القلب ولهذا روي تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في أنه إذا كان الله منزلها ان يوصف بصورة. (١٤)

وقال الجرجاني في التعريفات بأنه: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول (١٥)

وفي المعجم الفلسفي عرف بأنه: اعمال العقل في الاشتباه للوصول إلى معرفتها ويطلق بالمعنى العام على كل ظاهرة من ظواهر الحياة (١٦)

المبحث الأول: (الإمام الباقر فرع الدوحة المحمدية)

أولا: جانب من سيرته العطرة:

ولد الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالباقر في المدينة المنورة سنة سبع وخمسين من هجرة النبي صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة في مطلع رجب الأصبّ من ذلك العام.

وقيل مطلع صفر، وقبض بالمدينة سنة مائة وأربعة عشر من هجرة النبي من مكة في السابع من شهر ذي الحجة، وقيل في ربيع الأول من ذلك العام كان سنه يومئذٍ سبعة وخمسين سنة، أدرك فيها جدّه الحسين عليه السلام وبقي معه نحواً من أربع سنين، ومع أبيه السجاد بعد جدّه خمساً وثلاثين سنة، وعاش بعد أبيه ثمانية عشر عاماً، وقيل تسعة عشر، وهي مدة إمامته ،أمه ام عبده ، بنت الحسن بن علي بن أبي طالب وهو هاشمي من هاشميين ، علوي من علويين وقبره بالبقيع من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله.

وكانت وفاته أواخر ملك هشام بن عبد الملك (١٧)، وقيل في مطلع حكم ابراهيم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٨) ورأى بأم عينه ما جرى على جده الإمام الحسين وأبيه زين العابدين عليهما السلام في واقعة كربلاء (١٩) وتجرع مرارتها وآلامها، ماتجرع غيره من النساء والأطفال (٢٠)

لقد كان الباقر محمد بن علي من بين اخوته خليفة أبيه علي بن الحسين عليه السلام ووليه القائم بالإمامة من بعده، وقد برز عليهم جميعا بالفضل والعلم والزهد والسؤدد ، وكان أنبههم ذكرا واجلهم عند العامة والخاصة وأعظمهم قدرا، ولم يظهر عن ولد الحسن والحسين عليهما السلام من العلوم والآثار والسنه والتفسير والسيرة وسائر الفنون ما ظهر عنه

وقد روى عنه معالم الدين من بقي إلى عصره من الصحابة والتابعين ومن المسلمين وقال القرطي:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبى على الآجيلِ

لما قيل لعمر بن عبد العزيز [٢١] ان علي بن الحسين قد رحل عن دنيا الناس إلى جوار ربه: قال: لقد ذهب سراج الدنيا وجمال الاسلام وزين العابدين فقيل له: ان ابنه ابا جعفر محمد بن علي وفيه بقية، فكتب عمر يخبره، فكتب اليه كتابا يعظهُ ويخوفه

فقال عمر: أخرجوا كتابه إلى سليمان، فأخرج كتابه فوجده يقرضه ويمدحه فانفد عمر إلى عامله في المدينة وقال له احضر محمداً وقل له هذا كتابك إلى سليمان تقرضه وتمدحه هذا كتابك اليّ مع ما اظهرت من العدل والاحسان، فاحضره عامل المدينة وعرفه بما كتب به عمر، فقال الباقر: إن سليمان كان جبارا كتب إليه بما يكتب إلى الجبارين وان صاحبك اظهر امرا فكتب إليه بما كتب بما شاكله وكتب اليه عامل: بذلك اليه فقال عمر: إن أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل [٢٢]

((ما جاء عنه من الحكم والآداب والمواعظ))

١-ما دخل قلب أمرئ شيء من الكبر الا نقص من عقله

مثل ما دخله من ذلك قل أو كثر.

٢-عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد والله لموت العالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابد

٣-قال: يدخل أحدكم يده في جيب صاحبه فما صد منها ما يريد وهو لا يعلم؟ فقالوا لا يا ابن رسول الله فقال: اذهبوا فلستم اخواننا كما تزعمون

قال لبعض اصحابه: اعتزل ما لا يعنيك وتجنب عدوك واحذر صديقك ولا تصحب الفاجر وتطلعه على سرك واستتر في امرك الذين يخشون الله وإذا استطعت ان لا تعامل أحدا إلا ولك الفضل عليه فافعل.

٤-ما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل ولا يدفع لقضاء إلا الدعاء وإن أسرع الخير ثوابا البر وأسرع الشر عقوبة البغي وكفى المرء عيبا ان يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه .

قال لبعض الصحابة: خذ الكلمة الطيبة ممن قال وإن لم يعمل بها فإنّ الله يقول: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبابِ**﴾[٢٣] .

٥-الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله وظلم لا يعد الله فأمّا الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، وأما الظلم الذي يغفره الله فظله الرجل نفسه فيما بينه وبين الله وأما الظلم الذي لا يدعه الله فالمدانية بين العباد [٢٤] .

ثانيا: رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بإبلاغ حفيده الباقر عليه السلام

روى ابان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن جابر بن عبد الله الانصاري كان اخر من بقي من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكان رجلا منقطعا إلينا أهل البيت وكان يقعد في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وهو معتجر [٢٥] بعمامة سوداء وكان ينادي: يا باقر العلم يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول والله ما اهجر، ولكني سمعت رسول الله يقول: إنك ستدرك رجلا مني اسمه اسمي، وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقرا فذاك الذي دعاني إلى ما أقول.

قال: فبينما جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذا مر بطريق في ذاك الطريق كتاب [٢٦] فيه محمد بن علي، فلما نظر اليه قال: يا غلام ما اسمك؟ قال: اسمي محمد بن علي بن الحسين، فجعل يقبل رأسه ويقول، بأبي أنت وأمي أبوك رسول الله يقرؤك السلام.

قال فرجع محمد بن علي إلى أبيه وهو ذعر فأخبره الخبر فقال له: يا بنيّ قد فعلها جابر

قال: نعم

قال: الزم بيتك يا بنيّ [٢٧]

قول الإمام زين العابدين عليه السلام ألزم بيتك ، وهذا أمر بوجوب لزوم البيت وعدم الخروج منه إلا لضرورة أو بإذن آخر من أبيه ، حيث يكشف هذا الالزام عن الخطورة المحيطة بأهل بيت النبوّة ، وعظيم الملاحقة والتضييق من قبل الحكومة الاموية ، والذي وصل إلى هذا الحد .

ومما تقدم نقف على تلك الملامح والصفات التي تعني شمائل وصفات رسول الله صلى الله عليه وآله وأما نبوغهُ وقابليته الذهنية المتوقدة فقد كانت ملحوظة في وقتٍ مبكر ، حتى قيل أن جابراً على كِبَرِ

سنّه وشيخوخته يأتي فيجلس بين يدي الباقر ليتعلم منه على ما عنده من علوم جمّة وطفق جابر يقول : " يا باقر أوتيت الحكم صبياً " وهذا فيه شهادة من صحابيّ جليل من خلال الاشارة إلى قول الله تعالى في يحيى عليه السلام : (يا يحيى خذ الكتاب بقوّة وآتيناه الحكم صبياً) [٢٨]

وسئل رجل ابن عمر عن مسألة فلم يدرِ بما يجيبه فقال: (اذهب إلى ذلك الغلام فسأله واعلمني بما يجيبك واشار به إلى محمد بن علي الباقر عليه السلام فأتاه وسأله فأجابه فرجع إلى ابن عمر فأخبره فقال ابن عمر : (إنهم أهل بيت مفهّم) [٢٩] .

وقال عبد الله بن عطا المكي: ما رأينا العلماء عند أحد أصغر منهم عند ابي جعفر يعني الباقر ولقد رأيت الحكم ابن عيين مع جلالته وسنه عنده وكأنه صبي بين يدي معلم يتعلم منه [٣٠] .

بهذا القدر وقفنا على ملامح غلامٍ لم يتجاوز عمره تسع سنوات والذي ما مرّ بأحدٍ إلا قام اجلالاً له وأكبره حتى أن قتاده فقيه أهل البصرة يقول : جلستُ بين يدي الفقهاء وأمام ابن عباس فما اضطرب قلبي من أي أحد منهم مثل ما اضطرب قلبي منك مخاطباً الإمام الباقر عليه السلام وأخيراً كان مقره يثرب ومدرسته الجامع النبوي ومنه تخرج العديد من طلاب العلم والفضيلة .

المبحث الثاني: الانحراف الفكري مظاهره، أنواعه، آثاره:

أولاً: مظاهر الانحراف الفكريان الجهل واتباع الهوى والمناخات الملوثة بالأفكار المسمومة تهيأ الطريق إلى الميل عن الحق مما يؤدي بالفرد أو المجتمع إلى الهلاك والخسران. والأسباب المؤدية إلى الانحراف متنوعة كما عبرت قبل قليل بالمناخات أو البيئة الملوثة حيث للعامل السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، أو النفسي مدخلية مباشرة في توليد الاحباط واليأس عند الفرد مما يؤدي ذلك بالنتيجة إلى الانحراف المذكور.

مظاهره:

أ-الإعراض عن الله تعالى وعن سنة نبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله ولخطورة هذا الأمر توعد الله تعالى بالعقوبة لمن يخالف امره فقال: قال تعالى ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾ [٣١]

ب-الجهل وعدم التفقه ، ولهذا أشار الإمام الصادق عليه السلام (وددت لو أني ضربت اصحابي حتى يتفقهوا بالدين فالجهل عاملُ هدم يأخذ بصاحبه إلى الخسران قال تعالى﴿**وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً**﴾)[٣٢]

وهذا مفاده أن الكذب على الله سبب من اسباب الانحراف العقدي ، لذلك اهتمت السنة المطهرة ايضاً في هذا الموضوع كما في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله مُحذّراً : سيخرج في آخر الزمان قوم إحداث الأنسان ،سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البرية يقرؤون القرآن

لا يتجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية

فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنَّ لمن قتلهم أجراً عند الله يوم القيامة.

ج-اتباع الهوى قال تعالى ﴿**وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً**﴾ [٣٣]

فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:" إن اخوف ما اخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصّدُ عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة".

د-الابتعاد عن العلماء فقد قال تعالى حاكياً ضرورة رجوع الجاهل إلى العالم بغية النجاة من التهلكة: قال تعالى: ﴿**وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [٣٤]

وورد هذا المعنى عن الرسول الأكرم ان العلماء ورثة الأنبياء، وهداة الخلق إلى الحق وهم مصدر العلم الصحيح وهم أهل الذكر الذين أمرنا الله تعالى في حال الجهل أو الشكل قال تعالى ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ [٣٥]

هـ-سوء التربية : وهذا امر يحتاج إلى تركيز واهتمام بالغ من ذوي العلاقة والمسؤولية فقد حذر المولى جل وعلا ونصح قال سبحانه قال تعالى ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ**﴾[٣٦]

فأن سوء التربية، يتولد عنها آثارٌ سلبية على شريحة الاطفال على وجه الخصوص باعتبارهم اللبنة الاساسية في بناء المجتمع ومن هذه الآثار. العدوانية والعنف والاضطرابات السلوكية والاعتداء على الآخرين

وبالنتيجة يصبح الطفل عنيدا بليدا غير مكترث بعواقب الأمور مهما كان حجمها عاصيا لأوامر أبويه، وهذا ما نجده اليوم من السياسات العدوانية الممنهجة من خلال لعب الاطفال والتي عبارة عن الأسلحة والآلات الحربية والعاب العنف والعدوان والتي تجذر في نفوس الاطفال كل تلك السجايا والصفات السلبية

الغزو الثقافي : مهاجمة القيم والمبادئ والمقومات الثقافية لأمة من الأمم، وهذا أيضا ما نشاهده اليوم إزاء صمت وسكوت رهيب من الجهات ذات العلاقة حيث المواقع الاباحية واستيراد الألبسة وغيرها والتي من خلالها تنتقل الثقافات الدخيلة على ثوابتنا واخلاق مجتمعاتنا العربية والإسلامية وهذه الممارسات تتسم بالهدوء وعدم اثارة الضجيج حتى تحقق غاياتها ولم يتوقف الغزو عند هذا الحد بل تعدى إلى الجانب الاخلاقي حيث التميع والتخنث ورفع عامل الحياء لدرجة ان المعروف صار منكرا والمنكر أصبح معروفا، وهذا هو الحال في استبدال ثقافة بثقافة اخرى .

ثانيا: أنواع الانحراف الفكري

الانحراف الفكري يشمل جميع أنواع ميل العقل عن الحق والعدل:

١- الانحراف العقدي: هو أول درجات الانحراف وهو أم الانحرافات الأخرى ومن مراتب الانحراف العقدي الكفر وله مراتب:

أ – الإلحاد وعدم الإيمان بالله تعالى

ب- الارتداد عن الإسلام والخروج منه خروجاً كاملاً.

ج – الشرك بالله تعالى وعبادة غيره.

٢-الانحراف الخلقي والسلوكي

٣-أسباب الانحراف الفكري:

١-أسباب اقتصادية كالفقر والبطالة بل حتى الاغنياء لكنها في الاعم الاغلب أكثر تأثيراً في الفقراء.

٢-أسباب تربوية أو نفسية أو اجتماعية أو فكرية.

ثانياً: آثار الانحراف السلبية في المجتمع:

يمكننا منهجية هذه الآثار على ثلاثة مستويات:

١-على مستوى الأمن والفكر العقائدي

أ-إثارة الشبهات

ب-تحريف المفاهيم والمعتقدات

ج-الافتاء بغير علم شرعي

٢-على مستوى الامن الاقتصادي:

أ-التكاليف المالية والاجراءات الامنية

ب-هجر الوظائف الحكومية

ج-انعكاسه على القطاع الخيري

٣-على مستوى الامن الاجتماعي

أ-اثارة الفتن

ب-التضليل والتغرير بالجيل الجديد

ج-سيادة العنف

د- شيوع الجرائم

هـ- انتهاك الحقوق [٣٧]

تبين إلى هنا ان الانحراف الفكري تنعكس آثاره على المستويات المذكورة مما تكشف بالتالي عن خطورته وضرورة التفكير بالوقوف بوجهه بأساليب وطرق علمية

المبحث الثالث: الدور التصحيحي للإمام الباقر عليه السلام

اولاً: المناظرات:

١-ذكر الطبرسي في الاحتجاج[٣٨]: سأله نافع بن الأزرق يا أبا جعفر عليه السلام[٣٩] قال: اخبرني عن الله عز وجل متى كان؟ فقال عليه السلام: متى لم يكن حتى اخبرك متى كان؟! سبحان من لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً.

٢-عن عبد الله بن سنان[٤٠] عن أبيه قال: حضرت أبا جعفر عليه السلام وقد دخل عليه رجل من الخوارج فقال: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ قال: الله

قال: رأيته؟

قال: بلى، لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان لا يُعرف بالقياس ولا يُدرك بالحواس ولا يشبّه بالناس، موصوف بالآيات معروف بالدلالات، لا يجور في حكمه ذلك الله لا إله إلا هو.

قال فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

٣-في كتاب التوحيد للصدوق[٤١]

عن محمد بن مسلم[٤٢] قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عما روي أن الله خلق آدم على صورته؟

فقال: هي صورة محدثة مخلوقة اصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة فأضافها كما اضاف الكعبة إلى نفسه والروح إلى نفسه فقال (بيتي) وقال تعالى ﴿**فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ**﴾[٤٣].

وذلك في قوله تعالى ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[٤٤]

٤- قال حج هشام بن عبد الملك[٤٥] فدخل المسجد الحرام متكئاً على يد سالم مولاه، ومحمد بن علي بن الحسين عليه السلام جالس في المسجد فقال له سالم:

يا أمير المؤمنين: هذا محمد بن علي بن الحسين.

فقال له هشام: المفتون بهِ أهل العراق؟ قال: نعم

قال: إذهبوا إليه فقل له: يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟

فقال أبو جعفر عليه السلام يحشر الناس مثل قرصة البر النقي فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب.

قال: فرأى هشام أنه قد ظفر به فقال: الله أكبر اذهب إليه فقل له: ما اشغلهم عن الأكل والشرب يومئذٍ؟!

فقال له أبو جعفر عليه السلام فهم في النار اشغل ولم يشغلوا عن أن قالوا قال تعالى ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ (٤٦)

فسكت هشام لا يرجع كلاماً.

٥-روي ان نافع بن الازرق جاءَ إلى محمد بن علي بن الحسين عليه السلام فجلس بين يديه يسأله عن مسائل الحلال والحرام.

فقال له أبو جعفر –من حسن كلامه: قل لهذهِ المارقة: بما استحللتم فراق أمير المؤمنين عليه السلام وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته، والقربة إلى الله تعالى بنصرته؟ فسيقولون لك: إنه حكم في دين الله، فقل لهم: قد حكم الله تعالى في شريعة بين رجلين من خلقه فقال جل اسمه: قال تعالى ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُما إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً خَبِيراً**﴾ (٤٧)

وحكم رسول الله صلى الله عليه وآله سعد ابن معاذ في بني قريظة فحكم فيهم بما امضاه الله تعالى أوعلمتم أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن، ولا يتعدياه واشترط ردّ ما خالف القرآن من أحكام الرجال؟ وقال حين قالوا له: حكمت نفسك من حكم عليك!

فقال: ما حكمت مخلوقاً، وإنما حكمت كتاب الله فأين تجد المارقة تضليل من أمر الحكم بالقرآن؟ واشترط ردّ ما خالفه لولا وفي نسخة (ولولا) ارتكابهم في بدعتهم البهتان فقال نافع بن الازرق: هذا والله كلام ما طرق بسمعي فقط، ولا خطر مني ببال وهو الحق إن شاء الله (٤٨)

٦-وعن أبي الجارود (٤٩) قال: قال أبو جعفر عليه السلام يا أبا الجارود: ما يقولون في الحسن

والحسين عليه السلام؟ قلت: ينكرون علينا انهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله

قال: فبأي شيء احتججتم عليهم؟

قال: قلت يقول الله في عيسى ابن مريم عليهما السلام قال تعالى: ﴿**وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (٥٠)

فجعل عيسى من ذرية إبراهيم.

واحتججنا عليهم بقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ**﴾

ثم قال: فأي شيء قالوا؟ قال: قلت: قالوا قد يكون ولد البنت من الولد ولا يكون من الصلب

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام والله يا أبا الجارود لأعطينكها من كتاب الله آية تسميهما أنهما لصلب رسول الله صلى الله عليه وآله لا يردها إلا كافر.

قال: قلت جعلت فداك وأين ؟قال: قال تعالى ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَبَناتُكُمْ وَأَخَواتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخالاتُكُمْ وَبَناتُ الأَخِ وَبَناتُ الأُخْتِ وَأُمَّهاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَواتُكُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ وَأُمَّهاتُ نِسائِكُمْ وَرَبائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ ما قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ (٥١)

فسألهم يا أبا الجارود هل يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتهما؟ فإن قالوا نعم فكذبوا والله، وان قالوا: لا فهما والله ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله لصلبهِ وما حرّمن عليه إلا للصلب.

٧-وروي عن عمرو بن عبيد (٥٢)، وفد على محمد بن علي الباقر -عليه السلام- لامتحانه بالسؤال عنه فقال له: جعلت فداك ما معنى قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾ (٥٣)

ما هذا الرتق وما هذا الفتق؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: كانت السماء رتقا لا تنزل القطر، وكانت الأرض رتقا لا تخرج النبات، ففتق الله السماء بالقطر، وفتق الأرض بالنبات فانقطع عمرو ولم يجد اعتراضاً، ومضى ثم عاد

إليه: فقال: جعلت فداك أخبرني عن قوله تعالى :﴿كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى﴾ (٥٤)

ما غضب الله عز وجل؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام غضب الله تعالى عقابه يا عمرو، ومن ظنّ ان الله يغيّره شيء فقد كفر (٥٥)

٨-عن عبد الله بن سليمان قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل البصرة يقال له (عثمان الأعمى)

إن الحسن البصري يزعم ان الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم في النار فقال أبو جعفر عليه السلام فهلك إذن مؤمن آل فرعون والله مدحه بذلك وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله عز وجل رسوله نوحاً فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم الا من هنا، وكان عليه السلام يقول : محنة الناس علينا عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا.

ثانياً: الجانب التشريعي:

التأسيس لعملية الاستنباط

يقول السيد حسن الصدر: (إن أول من فتح بابه- أي باب علم الاصول- وفتق مسائله هو باقر العلوم الإمام جعفر بن علي الباقر عليه السلام وبعده ابنه ابو عبد الله الصادق عليه السلام وقد امليا فيه على جماعة من تلامذتهما قواعده ومسائله، جمعوا من ذلك مسائل رتبها المتأخرون على ترتيب مباحثهِ.

ككتاب (اصول الرسول) وكتاب (الفصول المهمة في اصول الأئمة) وكتاب (الاصول الاصيله) كلها بروايات الثقات مسندة متصلة الإسناد إلى أهل البيت (عليهم السلام). (٥٦)

الفقهاء في إرساء قواعد علم الأصول:

هناك جملة من التكاليف التي يقف الفقهاء امامها وقد فقدت النص من الأدلة الأربعة (الكتاب والسنة والإجماع والعقل) ليتسنى للفقيه البت في أمر ذلك الموضوع وبيان حكمه كالحرمة أو الحلية أو الكراهة أو الوجوب أو الاستحباب.

لكن ائمة اهل البيت صلوات الله عليهم والذين زقوا العلم زقا وصاحب البيت أدرى

بالـذي فيـه، فهـم فـروع الدوحـة المحمديـة وهـم حجـج الله عـلى البرايـا والحجـة البيضـاء، وسـفن النجـاة وفـاز مـن اعتصـم بهـم، وخـاب وخـسر مـن تخلـف عنهـم بهـم بـدأ الله وبهـم يختـم.

فالباقر ﷺ كان له الدور الكبير في وضع المعايير والحلول الناجعة كالتعارض والاستصحاب، وقاعدة الفراغ، وقاعدة التجاوز، ونفي الضر بحسب القاعدة المشهورة بـ (لا ضر ولا ضرار) مع ملاحظة أنني لست بصدد بيان الآراء في كل ما يطرح مع تقديسي لآراء الفقهاء رحم الله الماضين وأيّد المعاصرين.

١-الاستصحاب: ومقتضاه ابقاء الحكم السابق المتيقن فيما إذا كان المكلف شاكّاً في الحال وبعباره أخرى يقين سابق وشك لاحق، ويظهر ذلك جليا في مسألة يوم الشك كمثال مشهوروقد عبر العلماء عنه بإبقاء ما كان على ما كان وقد نص الإمام ﷺ على حجية الاستصحاب في كثير من المسائل التي سئل عنها.

٢-قاعدة التجاوز أوقاعدة الفراغ: وهي قاعدة فقهية، عرف إدراجها في علم الاصول فقاعدة التجاوز إذا شك الإنسان في صحة العمل بعد ان تجاوزه وفرغ منه يبني على صحته وهو ما يسمى بقاعدة الفراغ فمثال التجاوز كما إذا شك في القراءة وقد ركع – فوظيفة المكلف عدم العناية بالشك، وعليه ان يمضي في صلاته وهي صحيحة، ولو فرغ من قراءة فاتحة الكتاب وذلك بمجرد قوله (ولا الضالين) وطرأ عليه الشك هل قرأت الفاتحة ام لا. حينئذ وظيفته ان يمضي ولا يعتني بشكه وهذا ما يسمى بالفراغ هذا ما تضافرت به الروايات عن الإمام الباقر وولده الصادق ﷺ.

٣-قاعدة نفي الضرر:

فقد نص الإمام أبو جعفر الباقر ﷺ على مدرك هذه القاعدة قال ﷺ لزرارة: إن سمرة بن جندب [٥٧] كان له عذْق [٥٨]

في حائط لرجل من الأنصار، وكان منزل الأنصاري بباب البستان، وكان سمرة يمر إلى نخلته ولا يستأذن فكلّمه الانصاري أن يستأذن إذا جاء فأبى سمرة فلما تأبّى جاء الانصاري إلى النبي ﷺ فشكا إليه وأخبره بالخبر

فأرسل رسول الله إليه وأخبره بقول الانصاري وما شكا وقال له: إذا أردت الدخول فاستأذن.

فلما أبى ساومه حتى بلغ من الثمن ما شاء الله فأبى أن يبيعه فقال عليه السلام لك بها عذق في الجنة فأبى أن يقبل.

فقال رسول الله للأنصاري " إذهب فاقلعها، وارم بها إليه فإنه لا ضرر ولا ضرار " [٥٩]

١-علاج التعارض:

قد تقف أمام اخبار متعارضة في مدلولها بين النفي والايجاب في موضوع واحد وسبب التعارض لا يخلو إما ان صدور أحدهما تقتضيه التقية فيجيب الإمام بعليك ان تفعل كذا وفي وقت آخر يجيب الإمام على نفس السؤال بعينه بعليك ألا تفعل ذلك.

وأما ان يكون أحد الخبرين من الموضوعات عليهم، وفي مثل هذا الامر المحير لم يبق امام المتحير إلا ان يلجأ إلى الإمام حينها محمد بن علي الباقر عليه السلام فقد وضع الخطوات اللازمة لعلاج الخبر المتعارض والذي اعتمده الفقهاء.

الخطوات:

أ – الشهرة ، أي اعتماد الخبر المشهور منهما وترك الشاذ النادر وان صح صدوره عن الإمام يقول الإمام عليه السلام لزراره : (يا زراره خذ بما اشتهر بين اصحابك ودع الشاذ النادر).

ب- موافقة الكتاب والسنّة:

هذه الخطوة تعدُّ مقياسا ثانيا أوضحه الإمام عليه السلام لبعض أصحابه ليكون معيارا في التعاطي مع الروايات المتعارضة وللأسباب التي مر ذكرها.

ومقتضاه عرض الخبرين المتعارضين على الكتاب والسنة، فإن اتفق أحدهما مع منطوق الكتاب والسنة فيؤخذ به ويطرح الآخر وهذا معنى قوله عليه السلام: (لا تصدق علينا إلا بما يوافق كتاب الله وسنة نبيّه). [٦٠]

جـ: الترجيح بالصفات:

أي ننظر في صفات الراوي من حيث الوثاقة والعدالة فتقدم روايته على من لا تتوفر فيه هذه الصفات. يقول الإمام الباقر عليه السلام (خذ بما يقوله اعدلهما عندك واوثقهما) وهذا ما أسس له الإمام حيث إن من موجبات ترجيح الخبر من المتعارضين هما العدالة والوثاقة.

المبحث الرابع: البعد الروائي:

لا بد لنا من تسليط الضوء على اهتمام الإمام صلوات الله عليه بالأحاديث الواردة عن آبائه صلوات الله عليهم عن جده رسول الله ﷺ وهذه الاحاديث تتمتع بمزايا وصفات يعرفها أهل الحديث فإن الرواية اذا نقلها الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام فإنها عالية السند وقد اخذت من المعصومين الأربعة أو الخمسة فهي متصلة بعصر النص وتخلو من المجاهيل، وهذا امر يدعو الباحث الكريم ان يقف متأملا فينتج عن ذلك ان احكام العبادات أو المعاملات أو غيرها كالديات والمواريث وما يتعلق بالقضاء من جهة ومن جهة اخرى ما يتعلق بالجانب العقدي اذا ما أخذ كل ذلك عنه وعن آبائه -عليهم السلام- حينها نقطع بسلامة اعتقادنا وصحة عباداتنا وهي غاية المنى وبها تتحقق السعادة الدنيوية والأخروية ومن يعضد ما تقدم قول الإمام عليه السلام لجابر بن عبد الله الانصاري[٦١] : (إنا لو كنا نحدثكم برأينا لكنا من الهالكين ، ولكنا نحدثكم باحاديث نكنزها عن رسول الله ﷺ كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم)

الروايات:

١-الحث على طلب العلم:

أ-روى عليه السلام عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال : (فضل العلم أحب إلى الله من فضل العبادة وافضل دينكم الورع) روى عليه السلام عن آبائه ، عن رسول الله ﷺ انه قال : (ما جمع شيءٌ إلى شيء افضل من حِلمٍ إلى علم)

٢-بيان أعلى مراتب البر والعقوق:

عن آبائه عليهم السلام وعن رسول الله ﷺ أنه قال: فوق كلّ بر بر فاذا قُتِلَ في سبيل الله فليس فوقه بر، وفوق كل عقوقٍ عقوق، حتى يقتل الرجلُ أحد والديه فإذا قتل أحدهما فليس فوقه عقوق.

٣-في مكارم الأخلاق:

أ-عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال: أربع من كُنّ فيه نشر الله عليه كنفه، وأدخله الجنة في رحمته: حُسْن خُلقٍ يعيش به في الناس، ورفق بالمكروب وشفقه على الوالدين، واحسان إلى المملوك،

ولا يخفى هنا بمجرد الاشارة إلى الروايات من دون الخوض في التفاصيل.

- روى عن آبائه عليهم السلام أنه قال في وصيته للإمام أمير المؤمنين عليه السلام يا علي أربعة يذهبنّ ضياعاً: الأكل بعد الشبع، والسراج في القمر، والزرع في الأرض السبخة، والصنيعة عند غير أهلها.

عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (أربع يُمتن القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مناقشة النساء – يعني محادثتهن- ومماراة الأحمق تقول ويقول ولا يرجع إلى خير أبداً، ومجالسة الموتى.

فقال يا رسول الله: وما الموتى؟

فقال: كلّ مترَفٍ.

جـ - روى كذلك عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (أربع من علامات الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الرزق، والاصرار على الذنب)

ت-روى عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما افناه، وعن شبابه فيما ابلاه، وعن ماله من اين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت.

ومن خلال ما تقدم نجد ان الإمام عليه السلام تعلقت رواياته بمجالات متعددة لها علاقة في بناء الفرد وبالتالي هو بناء الإنسان .

على مستوى المعاملات:

أ-روى عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: (من باع واشترى فليتجنب خمس خصال، وإلا فلا يبيعن ولا يشترين: الربا، الحلف، كتمان العيب، والمدح، إذا باع والذم إذا اشترى)

وهذه بحد ذاتها محاور حرية بالاهتمام، ولابد للبائع في أن يطلع عليها ويتفقه بها لمعرفة هذه الأحكام، والتي إذا ما اعتمدها ينجو من المنزلق ويطيب مكسبه، وتستجاب دعوته.

على مستوى الحث على العمل الصالح والتزود للآخرة:

يا عليّ، بادر بأربع قبل أربع شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك.

ب-وروى عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (السحت ثمن الميتة وثمن الكلب، وثمن

الخمر، ومهر البّغي، والرشوة في الحلم، وأُجرة الكاهن).

ما يحرم من الذبيحة

روى عن آبائه عن رسول الله ﷺ: (ان رسول الله قال لعليّ يا عليّ حرّم من الشاة سبعة أشياء: الدم، والمذاكر، والمثانة، والنخاع، والغدد، والطحال، والمرارة)

هذه الرواية تكشف عن اهتمام الإمام ببيان ما حرمه الإسلام من الذبيحة وفيها اشارة تتعلق بالصحة والعافية

وأخيراً، أنقل الرواية التي تحدثت عن خطاب رسول الله ﷺ في آخر جمعة من شهر شعبان، حيث وقف رسول الله ﷺ خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " أيها الناس انه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب. فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة ان يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فإن الشقي كل الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا أرحامكم واحفظوا ألسنتكم وغضوا عما لا يحل النظر إليه أبصاركم وعما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم، وتحننوا على أيتام الناس يتحنن على أيتامكم. وتوبوا إلى الله من ذنوبكم وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء، في أوقات صلاتكم فإنها أفضل الساعات ينظر الله فيها إلى عباده بعين الرحمة، يجيبهم إذا ناجوه ويلبيهم إذا نادوه ويعطيهم إذا سألوه ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيها الناس: إن أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخففوا عنها بطول سجودكم، واعملوا أن الله أقسم بعزته ألا يعذب المصلين والساجدين وان لا يروعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أيها الناس: من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لما مضى من ذنوبه. فقيل: يا رسول الله وليس كلنا يقدر على ذلك فقال صلى الله عليه وآله: اتقوا الله ولو بشربة من ماء، واتقوا النار ولو بشق تمرة.

أيها الناس: من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفف فيه عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه، ومن كف فيه شره كف الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوع بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أدى فيه فرضاً كان له ثواب من أدى سبعين فريضة في ما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تخف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

أيها الناس: إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة فاسألوا ربكم ألا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلقة فاسألوا الله ألا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة، فاسألوا ربكم ألا يسلطها عليكم.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام فقمت فقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: ما يبكيك، فقال: أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر، كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الآخرين يتبع أشقى الأولين، شقيق عاقر ناقة ثمود، فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال: نعم في سلامة من دينك.

ثم قال صلى الله عليه وآله: (يا علي أنت مني كنفسي، حربك حربي وسلمك سلمي، من أحبك فقد أحبني من جفاك فقد جفاني).

الخاتمة:

وتشمل على الوصايا والنتائج:

الوصايا:

١-تكافل الجهود الخيّرة من أجل الوقوف بوجه المد الفكري السلبي

٢-استثمار التطور التقني في حماية أفكار الشباب.

النتائج:

١-اتضح أن الإمام الباقر عليه السلام هو واضع علم الاصول.

٢-الوقوف على كم من روايات الإمام عليه السلام. والتي شملت أكثر من جانب من جوانب الحياة

٣-صحة ما ينقل من أحداث في واقعة الطف باعتبارها عن طريقه عليه السلام.

الهوامش

١-العيبة: وعاء من ادم، والعيبة أيضا، زبيل من ادم، والعيبة ما يجعل فيه الثياب كما في لسان العرب لابن منظور، نشر دار صادر، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة ،٢٠٠٥مج١٠،مادة عيب صـ٣٤٧

٢-لسان العرب، العلامة بن منظور، نشر دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ٢٠٠٥م

٣- الحج :١١

٤-تفسير القرآن العظيم، الحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي القرشي ٧٧٤هـ نشر دار المعرفة بيروت ١٤٢٥هـ، صـ١٠٥٩

٥-المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، نشر المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر الطبعة الثانية، مادة صرف، ج١، صـ٢٠٢

٦-المائدة: ١٣

٧-معجم القاموس المحيط، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مادة فكر، ت ٧١٦٥ ص١٠٠٦.

٨-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة فكر، ج٢،ص٧١٦.

٩-مفردات الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، نشر دار المعروف للطباعة والنشر، مادة الفكر، ص٥٧٣

١٠-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الحديث، القاهرة، ص٥٢٣.

١١-المدثر: ١٨

١٢-المفردات، نشر دار المعروف، ص٥٧٣.

١٣-التعريفات للعلامة علي بن محمد الجرجاني، نشر دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٣٨هـ، ص١٣٨.

١٤-المعجم الفلسفي بالالفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليب، الشركة العالمية للكتب، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ج٢،ص١٥٤.

١٥-عمر بن عبد العزيز: يقول عنه أبو جعفر في تاريخ الخلفاء: تقلد الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك وذلك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر ٩٩هـ ولد بحلوان، قرنه بمصر ٦٣ وأمه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

١٦-هشام بن عبد الملك: أبو الوليد: ولد سنة نيف وسبعين واستخلف بعهد من اخيه يزيد كما في تأريخ الخلفاء للسيوطي المتوفي ٩١١هـ، ص٢٤٧.

١٧-إبراهيم بن الوليد: ابو اسحق يوسع له بالخلافة بعد موت اخيه يزيد الناقص

١٨-كربلاء، نعتت كربلاء منذ الصدر الاول بأسماء عديده مختلفة هنا الغاضريه، ونينوى، عمرا وشاطي الفرات كما في موسوعة كربلاء للدكتور بيد بيضوي نشر، مؤسسة الاعلمي، الطبعة الاولى ،١٤٢٧هـ، ج٢،،صـ٥٩٠

١٩-انظر، الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، نشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج٢،صـ١٨٧

٢٠-تاريخ اليعقوبي، احمد بن اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي ت بعد ٢٩٢ هـ نشر شريعة قم المقدسة ،١٤٢٥هـ، ط٢،صـ٢١٣

٢١-سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسين، نشر دار التعارف للمطبوعات بيروت، لبنان، ج٢، صـ١٩٧

٢٢-الزمر :١٨

٢٣-تحف العقول عن ال الرسول: الشيخ الثقة الجليل الاقدم ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن سبقه الحراني من اعلام القرن الرابع، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الاولى ٢٠١٤م، صـ٣٢١

٢٤-معتجر: وضع العمامة على الراس

٢٥-موضع التعليم

٢٦-اصول الكافي: ثقة الاسلام أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي، ٣٢٨هـ ،نشر دار الكتب الاسلامية ، طهران ، الطبعة السادسة ، ج١، ص٤٦٩

٢٧-مريم:١٢

٢٨-مناقب آل أبي طالب للإمام الحافظ رشيد الدين أبي عبد الله محمد ابن علي ابن شهر آشوب المازندراني ت٥٨٨هـ نشر المكتبة الحيدرية قم المقدسة، ط١، ١٤٣٢هـ، ج١١.ص٢٠٣

٢٩-المصدر نفسه، ج١١،ص٢١٧

٣٠-النور :٦٣

٣١-الاسراء:٣٦

٣٢-النساء :٢٧

٣٣-م.ن:٨٣

٣٤-النحل:٤٣

٣٥-سورة التحريم: ٦

٣٦-من محاضرة بعنوان (آثار الانحراف الفكري في المجتمع) مارس ٢٠٢٠م، جامعة شقراء، خالد عبد الرحمن ابراهيم.

٣٧-الاحتجاج، العلامة الخبير أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، من علماء القرن السادس، تحقيق ابراهيم البهادري، اشراف جعفر سبحاني، دار الاسوة للطباعة والنشر، ج٢،ص١٦٦، ت١٩٤.

٣٨-نافع بن الازرق بن قيس الحنفي البكري، مؤسس فرقة الازارقة إحدى فرق الخوارج.

٣٩-عبد الله بن سنان، ترجمة السيد الخوئي تحت تسلسل (٤٣٥) في معجمه مجلد الحادي عشر، ص٢٢٤، نشر مؤسسة الإمام الخوئي.

٤٠-الاحتجاج للطبرسي، ص١٦٧،ج٢،ت١٩٥

٤١-محمد بن مسلم بن رياح، فقيه ورع صحب أبا جعفر وأبا عبد الله ﷺ وروى عنهما كان من أوثق الناس له كتاب يسمى الاربعمائة مسألة في ابواب الحلال والحرام. كما في معجم رجال الحديث للسيد الخوئي المجل د١٨/ ص٢٦٠/ ٢٦١.

٤٢-التوحيد للشيخ الجليل الاقدم. أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ٣٨١هـ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة العاشرة ،١٤٣٠هـ، ص١٠٠.

٤٣-الحجر:٢٩

٤٤-البقرة:١٢٥.

٤٥-هشام بن عبد الملك الاسدي القرشي، ٧١-١٢٥هـ، سير اعلام النبلاء.

٤٦-الاعراف :٥٠

٤٧-المصدر السابق، تسلسل المناظر،٢٠٢ ص١٧٢-١٧٣.

٤٨-النساء: ٣٥.

٤٩-الارشاد، للإمام الفقيه المحقق، محمد ابن محمد ابن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد، ت ٤٣١، نشر شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ، ص٣٣٢

٥٠-أبو الجارود: زياد بن المنذر الكوفي الهمداني، مؤسس فرقة الجارودية، معجم رجال الحديث، ج٨،ص٣٣٣.

٥١-الأنعام:٨٤

٥٢-آل عمران:٦١

٥٣-النساء:٢٣.

٥٤-عمرو بن عبيد كبير المعتزلة، كما في سير اعلام النبلاء، ج٩،ص٢٣٨.

٥٥-الانبياء:٣٠

٥٦-طه:٨١

٥٧-الارشاد، الفقيه المحقق محمد بن محمد بن نعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد، المتوفى ٤١٣هـ، نشر شركة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطب عة١٤٣٩هـ، ص٣٣٣.

٥٨-المصدرالسابق، ت٢١٢،ص١٩٣.

٥٩-نقلا عن موسوعة سيرة أهل البيت، الإمام محمد الباقر، الشيخ باقر شريف القرشي، تحقيق مهدي باقر القرشي، نشر دار المعروف، مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام، الطبعة الثانية ،١٤٣٣هـ، ج١٧، ص٢٣٨.

٦٠-سمرة بن جندب، ومن سماسرة معاوية واعوانه على نشر الظلم والإرهاب، استعمله زياد بن أبيه في البصرة فاسرف في قتل الابرياء فقيل – فيما يقول المؤرخون – ثمانية آلاف.

٦١-العذق: بفتح العين النخلة، وبكسرها العرجون

٦٢-موسوعة سيرة أهل البيت للعلامة الشيخ باقر القرشي، محمد الجواد، نشر مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام لإحياء التراث، النجف الاشرف، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ، ص٢٤١.

٦٣-المصدر السابق، ص٢٤٢

٦٤-جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري، خمس وثمانية عشرة، غزوة مع النبي، وصحبة امير المؤمنين عليه السلام، وشهدوا معركة صفين وكان من شرطة الخميس.

٦٥-تحف العقول: ص٤١

المصادر والمراجع

القـــــرآن الكـــــريم
* لسـان العـرب، العلامـة ابـن منظـور، نـشر دار، صـادر، بـيروت، لبنـان، الطبعـة الخامسـة ٢٠٠٥م
* تفسير القرآن العظيم، الحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي القرشي ٧٧٤هـ نشر دار المعرفة بيروت ١٤٢٥هـ،
* المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، نشر المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر الطبعة الثانية
* معجم القاموس المحيط، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ
* مفردات الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، نشر دار المعروف للطباعة والنشر، مادة الفكر، ص٥٧٣
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الحديث، القاهرة، ص٥٢٣.
* التعريفات للعلامة علي بن محمد الجرجاني، نشر دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٣٨هـ، ص١٣٨.
* المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية، والفرنسية، والإنجليزية، واللاتينية، جميل صليبا نشر الشركة العالمية للكتب، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م
* سيرة الأئمة الإثني عشر، هاشم معروف الحسني، نشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان
* تاريخ اليعقوبي، احمد اسحاق بن جعفر، بن وهب، ابن واضح اليعقوبي البغدادي توفي ٢٩٢هـ، نشر شريعت، قم المقدسة ، ١٤٢٥هـ، الطبعة الثانية
* تحف العقول عن آل الرسول، الشيخ الثقة الجليل الاقدم، ابو محمد الحسن ين علي بن الحسين الحراني، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى
* اصول الكافي، ثقة الإسلام، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي ت٣٢٨هـ نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة السادسة، ج١، ص٤٦٩
* مناقب: آل أبي طالب للإمام الحافظ رشيد الدين أبي عبد الله محمد بن علي شهر آشوب المزندراني ت٥٨٨هـ نشر المكتبة الحيدرية قم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ
* الاحتجاج، العلامة الخبير أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، علماء القرن السادس
* التوحيد، للشيخ الجليل الاقدم أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ٣٨١هـ نشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم الطبعة العاشرة
* الارشاد، للإمام الفقيه المحقق محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد ٤١٣هـ، نشر شركة الاعلمي، للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ
* سيرة أهل البيت العلامة الشيخ باقر شريف القرشي، نشر دار، المعروف، مؤسسة الحسن عليه السلام الطبعة الثانية ،١٤٣٣هـ